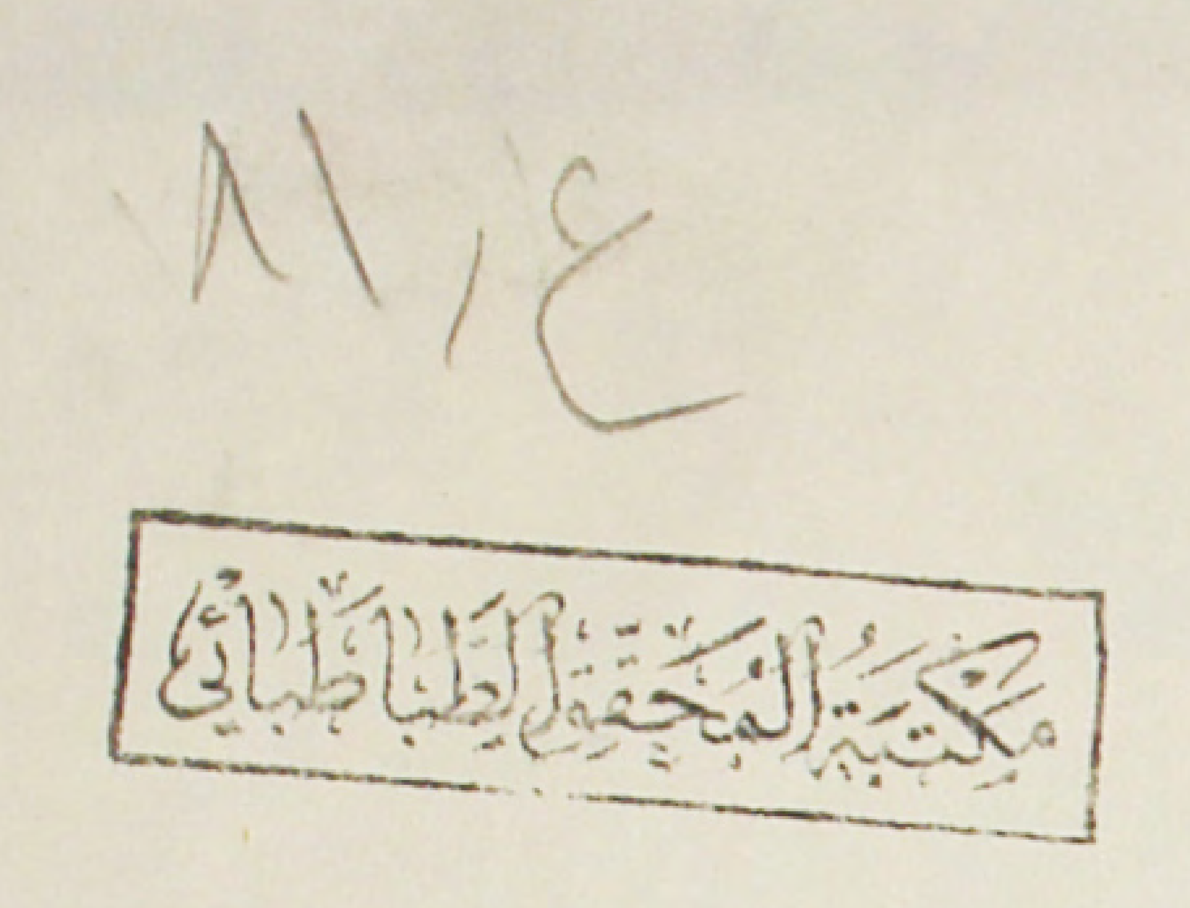
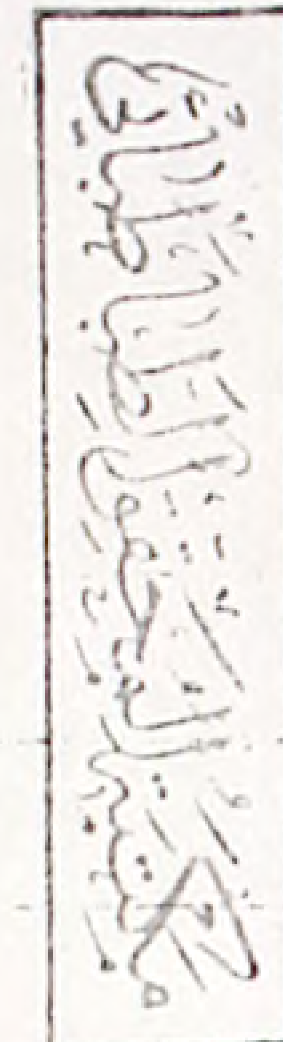


٨١/ع
مكتبة المحقق الطباطبائي



عبد العزيز طباطبائي



طروس الإنشاء
وسطور الإملاء
للسيد أبي المعز محمد القزويني الحلي المتوفى ١٣٣٥ هـ



«صورة نادرة ظهر فيها أبو المعز السيد محمد القزويني جالساً وعلى»
«يساره ابن أخيه السيد هادي القزويني المتوفى ١٣٥٨ هـ وعلى يمينه نجيب بك»
«ابن عمه نجيب باشا – والي بغداد – وقد أُخذت سنة»
«١٣٠٦ هـ»

١

الفصل الأول
في المراسلات البرقية والمخابرات التلغرافية

قلت على لسان عمدة الحاج، الحاج مصطفى كبة[1] مخاطباً أخاه الفاضل الحاج محمد حسن[2]، حين وصوله الى الحلة مشعراً بدخوله سنة ١٢٩٤هـ
(تلغراف)

في بابل طاب عيشي مع كل خل رشيق
فصرت (نعمان) دهري لو أن عندي (شقيقي)

فأجاب المشار إليه على لسان البرق

وصافني وصفتها مدامعي بالعقيق
بها صبغت الأقاحي لكي يعود شقيقي

ثم جاء من المشار إليه ما يظهر منه استبطاؤه بالحلة، فأجبته عنه أخيه في التاريخ المذكور:

---

(١) الحاج مصطفى من أفاضل هذه الأسرة وأعيانها، ومن التجار المشهورين في زمانه، له أيادٍ بيضاء، ومساعٍ طيبة مع اشتهار بالورع والتقى توفي سنة (١٣٢١هـ).

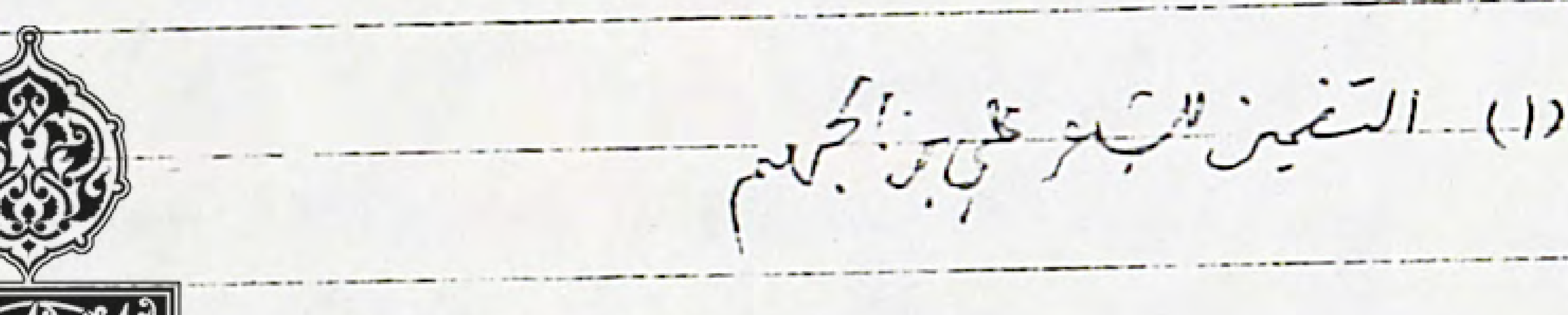
(٢) عالم فاضل ومجتهد فقيه، وشاعر مبدع، نال الشهرة والصيت في عصره، ومكانة جليلة بين أقرانه. [illegible] توفي سنة



لقد سحرتني بابل فاستمالني هواها عن الزوراء من حيث لا أدري
فلو لم تكن فيها هجرتُ لأجلها (عيونُ المها بين الرصافة والجسر)[1]

فأجاب الحاج محمد حسن بذلك
أتسحرُ مثلَ المصطفى أرضُ بابلٍ
وإنْ حلّ فيها ثالث الشمس والبدر[2]
وهذا عصى موسى أخيه بكفّه
تراءت فما أبقت لبابل من سحرِ !

وقلتُ مخاطباً الأخ المحروس السيد حسين[3] ، حين وصولي
× بغداد سنة (١٣١ هـ) :
بمرقد خير الخلق موسى بن جعفر ذكرتُك لا بينَ الرصافة والجسر
فإنّ به من منبع الوحي أعيناً (جلبنَ الهوى من حيث ادري ولا أدري)


(١) التضمين للشاعر علي بن الجهم



ولابن الأخ المرحوم السيد موسى[1] أيضاً مخاطباً (تلغراف)

بمرقد خير الخلق موسى بن جعفرٍ　　ذكرتُ حبيب القلب موسى بن جعفرِ

وكتبتُ الى النجف والحلة حين العود من زيارة سامراء

(للعسكريين) رحلنا، وفي　　أمنٍ رجعنا (للجوادين)
إنْ فازَ مَنْ زارَ إماماً فقد　　زرنا إمامين امامين

---

(١)

(٢) [illegible]

[illegible] (الجوادين) [illegible]

وقلتُ حين شوّقني أهل سامراء بالسير على طريق (حلق الذيب)، فضللنا، ورجعنا ليلاً إلى سامراء بيومنا،

خرجنا لحلق الذيب نطلبُ معبراً ... فضلّتْ عقولُ الركب في ذلك الوادي
ولمّا ضللنا في الطريق، ولم نجدْ ... لنا معبراً فيه، رجعنا إلى الهادي

ثم قلتُ على سبيل المجون لمّا شُوّقتُ بالعدول عن طريق (حربة)(*):

قالوا بحلق الذيب فاعبُرْ دجلةً ... وطريقُ (حَرْبَةَ) ليس بالمرغوبِ
فأجبتُهم لو أنّ عندي حربةً ... لوضعتُها غضباً بحلق الذيبِ

(*) ومما لم يثبت في أصل (الطرس) ما قاله في قنطرة (حلق الذيب) أيضاً، وقد شطرها محمد رضا الخطيب، واليك الأصل مع التشطير :-

(سَرَتْ لحلق الذيب سيارتي) ... ما بين تصعيدٍ وتصويبِ
تزأرُ كاللبوةِ في غيلها ... (ولم تخفْ من سطوة الذيبِ)
(قرّتْ حشا دجلة في حلقهِ) ... إذْ امسكتهُ بالتلابيبِ
كم أتعبتْ في السير منْ طالبٍ ... (وانصرفتْ عن نيل مطلوبي)

وكان في سنة (١٣٠٦ هـ) من الهجرة قد حفر متصرف كربلا نهراً من (الهندية) لأجراء الماء الى كربلا حين انقطاع نهر الحسينية ، وكان ممر النهر المذكور في الأراضي المملوكة لنقيب الأشراف فمنعه من ذلك ، وأمر لسد النهر فالتمست من علماء كربلا بالكتابة إليه فكتب إليه مايشجيه، وعلى حالهم يبكيه

في كربلا لكَ عصبةٌ تشكو الظما ... من فيض كفكَ تستمدُ رواءها
وأراك يا ساقي عطاشى كربلا ... وأبوك ساقي الحوض تمنعُ ماءها

ووردني تلغراف من ابن الأخ السيد أحمد حين سألتُ عن مزاجه في بغداد، وكان منحرفاً:

باعتاب (موسى) و(الجواد) تتابعت على هوادي العفو في كل موضع
فألبست بعد السقم أثواب صحة فلا أتمنى غير إنكم معي

فكتبتُ له جواباً:

(أحمدُ) مَنْ مِنْ منةٍ برحمةٍ قد وسعك
لُذتَ بآل المصطفى يا ليتني كنتُ معك

وقلتُ حين سرتُ من النجف الى كربلا في (العربة)، والسماء تهمي مطراً، وأرسلت الى النجف لرفع تشويشهم حيث لم يصبنا ضرر المطر:

ما ضرّنا الغيثُ إذ سارتْ ركائبنا
لكنْ سقانا، وما ابتلتْ لنا قدمُ

---

(١) هو ابن العلامة الميرزا صالح القزويني، عالم فقيه، وشاعر مُكثر، له نظم رائق، وشعر حسن أثبت جزءً منه العلامة المحسن العاملي في موسوعته "أعيان الشيعة"، والاستاذ علي الخاقاني في "شعراء الحلة". وقد إغتالته يدُ القدر وهو يرفل في ابراد الشباب سنة "١٣٤٠هـ"، ولم يخلف من بعده سوى ولده السيد "حميد" - نزيل الهندية اليوم -.

(تلغراف) تهنئة الى المرحوم نعمان افندي آلوسي زاده ، حين قدومه من دار ...

×

حيّاك مولاك سروراً كما | حيّاك في عزٍّ وتأييدِ
فنلتَ من دهرك اقصى المنى | بالفرحتين؛ العَود والعيدِ !

× (تهنئة) لكليدار الروضة الكاظمية حين رجوعه الى منصبه

أنعمَ سلطانُ الورى نعمةً | أحيا بها روحَ الورى كلّها
نشكرُ من انعامهِ أنّه | رَدّ الامانات الى أهلها

(تهنئة) له أيضاً بمنصب النقابة :

مَلِكُ الأنام حباكَ من ألطافهِ | رتباً بها قد نلتَ منه نصيبا
باب الحوائج صِرتَ بوّاباً لَهُ | فلذا ارتضاكَ على حماه نقيبا



(تبريك) لمعرف الديوانية ذي السعادة حمدي باشا

نعمةٌ للزمان تشكرُ عندي · زالَ فيها همي، وكربي، ووجدي
يومَ أصبحتَ في اللواء أميرًا · زادَ شكري من اجل ذاك وحمدي

(تبريك) لمفتي الحلة ذي الفضيلة السيد مصطفى افندي برتبة (بلاد الخمس)

بالبلاد الخمس هنّ (المصطفى) · فالجهات الستّ نالتْ شرفا
(والعقولُ العشر) تاهتْ، وعلى ال‍ · سيرات السبع مدّتْ طرفا

(تبريك) لنقيب الأشراف عند مجيئه من دار السعادة الى بغداد في العيد

عيدان في الزوراء زالتْ فيهما · عنها النحوس، واذنت بسعود
عودُ النقيبِ متوجاً تاجَ العُلى · لمحلّهِ الأسنى، وعودُ العيدِ

وكتبَ لي المرحوم المبرور السيد حيدر[1] يطلبُ منظرةً فاخرة، فأرسلتُ إليه منظرةً مصاغة بالفضة، وحجرها من الدر المعروف بدرّ النجف الأشرف، وكتبتُ له مع المنظرة:

لو أنني صغتُ عين الشمس منظرةً ... نالتْ بعينيكَ أقصى غاية الشرفِ
لكنها وهي في أعلى مطالعها ... أنّى تُقاسُ بدرٍّ من حصى النجفِ

وقلتُ في جواب بعض الأحبابِ، وقد أرسل إليَّ هديةً، ساعةً معتبرةً على ـــــ ل ن التلغراف:

فُقتَ الأنامَ جميعاً ... بحسن وافر فضلك
خيرٌ من الدهر عندي ... زمانُ (ساعة) وصلك

وكتبَ لي من بغداد الأعزّ الشيخ محمد الشيخ عبد الحسين[2]، وقد كان توجه لقضاء مطلب مهم:

إلى الجوادين رحلنا، وفي ... عزّهما لذنا بكهفين
إنْ فاز مَنْ لاذَ بكهفٍ فقد ... لذنا بكهفين منيعين

فكتبتُ له مجيباً

فزتَ بألطاف الأماعين ... مستمطراً للطف غيثين
مَنْ أمّ بابَ الجود نالَ المنى ... فكيف من قد أمّ بابين؟!

---

(١) هو أحد أعلام العراق الكبار السيد حيدر الحسيني الحلي المتوفى سنة (١٣٠٤هـ)، اشتهر في مراثيه الحسينية المسماة «بالحوليات». وله ديوان شعر كبير طبع مرات عدة، كما له كتاب «العقد المفصل» طبع أيضاً. وقد كتبت عنه الدراسات التحليلية، والبحوث المختلفة التي يضيق بنا المجال لو أتينا عليها.

١٠

وكتب لي ابن أخي المحروس السيد محسن (١) :

لأبي قاسم بديع أيادٍ   كلّ عن نظمها بياناً لهاتي
خصّه الله دوننا بصلاةٍ   مثلما خصّني بخير صِلاتِ

(تلغراف) إلى والي بغداد ناظم باشا استعطافاً له على حفر الفرات .... انقطاع الماء من الحلة سنة (١٣٢٨هـ) (٢) :

قُلْ لوالي الأمر قد مات الفرات   ومضتْ عنه أهاليه شتات
أفترضى أنْ يموتوا عطشاً   وبكفيك غدا ماء الحياة

---

(١) هو العالم الفقيه أبو المهدي السيد محسن نجل العلامة السيد حسين القزويني، له حواشٍ فقهية على الإيجاز، ودلالة الأثر في شرح نبذة من المختصر، ورسائل، وله شعر كثير في مناسبات متعددة. توفي يوم الأربعاء (٤) ذي الحجة (١٣٥٦هـ)، وأقبر في مقبرة الأسرة في النجف الأشرف، ورثاه الشيخ محمد ... والشيخ عبد الرزاق السعيد، والسيد محمد رضا الخطيب، والشيخ كاظم آل نوح، الشيخ ...

(٢) قال المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي معلقاً على هذين البيتين في هامش ديوان الدر المطلوب بتحقيقه ص ٥٥ ما يلي: « تناقلت صحف بغداد يومئذٍ هذين البيتين مع تشطير الشعراء لها، وأضافت الصحف إليهما ما هبط عليها من عرائض أهالي الحلة، وزعماء قبائل الفرات (بتشجيع العلامة القزويني) واندفعت الجرائد تحرض حكومة الدستور بلهجة شديدة على إغاثة الأهلين بالإرواء، وتنشر ما انتاب لوائي الحلة والديوانية من كظة الظماء، و... الماء، وما يقاسونه من شرب ماء الآبار فصدر الأمر من (الباب العالي) بإنشاء مشروع (سدة الهندية) وناظم (شط الحلة) كما هو عليه الآن وجرى الماء حتى بلغ الحلة في نهار الجمعة (١٧) كانون الأول سنة (١٩١٤م) الموافق لسنة (١٣٣٢هـ)، وأقيمت يوم افتتاحه مهرجانات عامة، وبلغت النفقات عليه (٣٠٠) ألف ليرة عثمانية، وقيل أكثر من ذلك، ومن ثم تحسنت حالة الفرات الاقتصادية والزراعية. (اهـ).

ولي في حقّ المرحوم علي ابن الشيخ عباس بن المرحوم الشيخ حسن بالتماسه :

(علي) بن (عبّاس) روى فضل (جعفر) وحازَ مزاياهُ فَسادَ على الناسِ
وكم رامَ أنْ يروي سواهُ وإنّما أصحّ حديثٍ ما رواهُ ابنُ عبّاسِ

وقلتُ مخاطباً كليدار النجف في حقّ المذكور باستنفاذه عن (القرعة)

(علي) بن (عباس) تركنا حديثَه إليك فلا نروي حديثَ ابنَ عباس
فانْ أنتَ أنجدتَ الفتى مثل ما مضى شكرنا، وإلّا فهو حشرٌ مع الناسِ

وكتبتُ للشيخ عباس المشار إليه - سلّمه الله تعالى - حين أرسل ولديه إلى الحلّة، وكان سائلاً عن أحوالها :

بالكاملين سليلي العباس في الـ ـفيحاء زالَ الهمّ عني والحَزَنْ
«حَسَنٌ» غدا في كلّ معنىً «مرتضىً» و«المرتضى» في كلّ معناه «حَسَنْ»

والتمسني بعض الفضلاء تشطير بيتين في الحماسة :

(سلوا عن عزمتي قلمي وسيفي) بطلعة منهما تجدوا دليلا
وعن طعن الصدور سلوا قناتي (اذا لاقيتُ حِزباً أو رعيلا)
(فيوم الحرب أختطفُ الأعادي) وفي يوم الندى أهب الجزيلا
ويوم الشعر أبتكرُ المعاني (ويوم الحلم اختطف العقولا)

وكتبت على لسان الأخ المرحوم الميرزا جعفر[1] - قُدس سرُّه - الى الشيخ محمد حسن كبة - سلمه الله - صدر مكتوب جواباً عن مكتوب منه إليه :

أرِجٌ من معاهد الزوراء نشره فاح في حمى الفيحاء
وعروسٌ زفت من الكرخ تمشي لي على الدل ، لا على استحياء
ونجوم من الرصافة البـ ـسن حما بابل برود ضياء
أم سطور بها حباني حبيبٌ هو في مهجتي قريبٌ وناءِ
اسكرتني ألفاظها ومعانيـ ـها افعل من الكؤوس والصهباء
وسبتني ألحاظها وغوانيـ ـها افعل من المشوق والحسناء

---

(١) فقيه أصولي ، وشاعر كبير ، وهو أكبر أولاد السيد مهدي القزويني . توفي في حياة والده سنة (١٢٩٨هـ) ، ورثاه شعراء العراق بقصائد مطبوعة جمعها الشاعر السيد حيدر الحلي وقدم لكل قصيدة منها بمقدمة نثرية عالية ، وسمى مجموعه « الاشجان في رثاء خير انسان » . وقد ترك مؤلفات تدل على علمه الغزير واجتهاده المبكر منها التلويحات النيرة (في علم الأصول) و الاشراقات المنطقية وغير ذلك ، وكلها محفوظة لدينا ، كما ان له منظومة في علم المنطق أسماها الشيخ علي كاشف الغطاء في كتابه المخطوط « الحصون المنيعة » .
الجزء الأول ص

(١)

وقلتُ في ضرسٍ من أضراسي آلمني فقلعته قسراً :

ولي سنٌّ يؤلمني كثيراً ويذهب لذة المأكول حتى
ففارقني مضيرتُ تمرّ بين فلا أنا آسفٌ فراق (سني)

وكتبتُ على رأسِ عصى أرسلها ذو السعادة توفيق باشا
الى حضرة السلطان بالتماسه ان يكون اسمه عليها لأنها من
عمله بيده

الى خليفة الزمان من غدتْ ملوكُ أهل الأرض في حجابه
ألقيتُ هذه العصا وسيلةً إنْ ساعدَ التوفيق في اعتابه

وكتبتُ مصدراً عريضة الشكر الى السلطان - دام بقاه - ،
على اجراء الماء في النجف الأشرف :

شكراً إمامَ المسلمين على صنائعك السنية
أجريتَ نهراً في الغريّ به مننتَ على الرعية
وسقيتَها العذبَ الفرا تَ على الظما سُقياً هنية
فاليكَ بالدعوات قد بحثتْ باكبادٍ روية

---

(١)

كان في قضاء «الشامية» قائمقام يسمى رشيد بك يتعاطى فن الأدب؛ فاقترح يوماً على الأديب الفاضل الشيخ عباس الأعسم أن ينظم على لسانه بيتين بهذا المعنى وهو ان أمير المؤمنين (علي) كالبحر ينتفع به البعيد ، والقريب الجوهر ، فنظم له هذا المعنى في هذين البيتين :

يا أبا النيرين كم لك جودٌ | فيه قد شاطر القريبَ البعيدُ
أنتَ كالبحر يبعثُ الغيث بعداً | ولداني الديار فيه العقودُ

فالتمس القائمقام المشار اليه مني تشطيرهما فقلتُ :

(يا أبا النيرين كم لك جودٌ) | عاش مسترشدٌ به ورشيدُ
ملأ الكائنات فيضكُ حتى | (فيه قد شاطر القريبَ البعيدُ)
(أنتَ كالبحر يبعثُ الغيث بعداً) | فيروي ظماً ، ويخضر عودُ
فلقاصي الديار منه ورودٌ | (ولداني الديار فيه العقودُ)

---

(١)

(٢)

وقلتُ ردّاً على مَنْ قال في زيارة الحرّ الشهيد
أشر للحرّ من بُعدٍ وسلّمْ «فانَّ (الحرَّ) تكفيه الاشارة» :-

زر الحُرَّ الشهيد ولا تؤخر زيارته على الشهداء قدّم
ولا تسمع مقالةَ مَنْ يُنادي أشرْ للحرّ من بُعدٍ وسلّم (1)

ثم قلتُ في المعنى
اذا ما جئتَ مغنى الطف بادرْ لمثوى الحرّ ويحك بالرواح
وزر مغناه من قربٍ، وأنشد (لنعمَ الحرّ حرّ بني رياح)

(1)



وكتب لي ابن أخي المحروس السيد أحمد إلى بغداد حين بلغهم حديث الاحتجاج بي ـــ ردّ الشمس لأمير المؤمنين مع حضرة النقيب :

لك اليوم فاسمع مصدر النهي والأمر ولله شرفاً في باذخ المجد والفخر
لخضت بحار الغيب في حق فكرة يقصّر عنها طائر الوهم والفكر
وأحييت آثار العلوم فأصبحت مشيدة أركانها منك بالذكر
وعادت رياض الدين فيك انيقة تروق بمطلول الخمائل والزهر
أنرت ببغداد سراج هداية به استرشدت أهل (الشام) الى مصر
أقمت على ما أنكروا الحجج التي أبت بجحود أن تُردّ ولا نكر
أبنت لهم نهج الهداية واضحا كما الشمس إذ ردّت لجدك بالأمر

فكتبت له مجيباً عن أبياته

بعيك فافخر لا بزيد ولا عمرو ولله شرفاً منه على كل ذي قدر
فقد قام في (الزورا) مقاماً مبجّلاً تعالى به قدراً على هامة النسر
وقام بنصر الدين بدراً مجلياً بمقوله الماضي بها غيهب الكفر
قد استلّ من علم «المعز» لاصوارماً تذكرهم سلّ الصوارم في بدر
إذا الليل يغشى من ذوي الجحد ظلمة يرتّل بالبرهان سورة «والفجر»
وان فاه محتجاً عليهم ظننتهم سكارى، وما بالناصبيّة من سكر
وما ستري إلا أولئك التي إليّ بها أودعت من رائق الشعر
نظمت حديث الشمس شعراً، وإنما نظمت الدراري، أيها الكوكب الدري

وقلتُ في وصف العربة التي تمشي على سكة الحديد بين بغداد والكاظمية وهي المعروفة (بعجلة الحديد) :-

وزاخرةٍ تسنّمنا ذراها … جرتْ فوق الصعيد بغير ماءِ

على سكك الحديد لها رنينٌ … على سمعي ألذّ من الغناءِ

تجاذبها السُّرى فرسا رهانٍ … فظلّ مدىً عليها غير ناءِ

يظللنا بها منها شراع … يطير بها إلى أفق السماءِ

تواصلُ أختها حتى إذا ما … رأتها، ودّعتْ عند اللقاءِ

ترى مقصورةً في الجوّ تسري … مزخرفةً مشيّدةَ البناءِ

تصدّ الشمسَ أنّى واجهتنا … فتحجبها، وتأذن للهواءِ

فكم حملتْ من الفتيان شتى … وهم فيها كأخوان الصفاءِ

يُنادمُ بعضُهم بعضاً سروراً … وما انتسبوا إلى بلدٍ سواءِ

اذا ما قبّة العلمين لاحتْ … لديها، وهي واضحة السناءِ

بها أرستْ على جُوديّ موسى … على باب الحوائج والرجاءِ

حمىً عكفت به الأملاك حتى … أقامت فيه دائمةَ الثواءِ

تطيل به الوقوف على خضوعٍ … إذا ازدحمت جموع الأنبياءِ

يبيتُ الوحيُ ينزلُ في حماهُ … ويصعد منه معراج الدعاءِ

انختُ به مع العافين ركبي … فبلّغني به أقصى منائي

ثم أرسلتُ هذه الأبيات من بغداد إلى النجف، واقترحت على ابن الأخ المحروس إمّا التشطير أو التخميس فشطرها، وأرسلها إليّ إل

إلى بغداد، وهو هذا. فالأصل لي، والتشطير المحروس ابن أخي السيد أحمد – وفقه الله تعالى –

(وزاخرة تشبهما ذراها) فراحت، وهي ترفل بازدهاء

ولم أر قبلها شاهدت فلكاً (جرت فوق الصعيد بغير ماء)

(على سكك الحديد لها رنين) كصب أن من طول التنائي

لها في جريها زجل، ورعد (على سمعي ألذ من الغناء)

(تجاذ بها السرى فرسا رهان) بها وصلا البدو إلى انتهاء

تسابق لمحة الأبصار عدواً (فكل حمى عليها غير ناء)

(يظللنا بها منها شراع) يسد بظله سعة الفضاء

وعزم كاد لولا من أقلت (يطير بها إلى أفق السماء)

(تواصل أختها حتى إذا ما) تعانقتا معانقة الأخاء

دعا داعي الفراق بها فلبت (رأتها، وودت عند اللقاء)

(ترى مقصورة في الجو تسري) بنا مسرى البساط على الرخاء

تروقك منظراً مهما تبدت (مزخرفة مشيدة البناء)

(تصد الشمس أنى واجهتنا) وتمنع ما ترشش يد الشتاء

فكم حملت بها ربات خدر (فتحجبها، وتأذن للهواء)

(فكم حملت من الفتيان شتى) بها يصغون أوزار العناء

فمن كل بها زوجين تلقى (وهم فيها كإخوان الصفاء)

(ينادم بعضهم بعضاً سروراً) وودّ بأن نمتّع بالبقاء

فتحسبهم بها إخوان صدق (وما انتسبوا إلى بلدٍ سواء)

(إذا ما قبةُ العلمين لاحتْ) ... مطنّبةً بأبراجِ السماء

تطوفُ بها الملائكُ كلَّ يومٍ ... (لديها ، وهي واضحةُ السناء)

(بنا أرستْ على جوديّ موسى) ... (جوادٍ) بالجزيلِ من العطاء

فما خابتْ وقد ألقتْ عصاها ... (على بابِ الحوائجِ والرجاء)

(حمى عكفتْ بها الاملاكُ حتى) ... تنالُ به العظيمَ من الحباء

مقامٌ عُلاً لودَّ الشهبُ لو أنْ ... (أقامتْ فيه دائمةَ الثواء)

(تُطيلُ به الوقوفَ على خضوعٍ) ... ملوكُ الأرضِ من دانٍ وناء

هو البيتُ الحرامُ فليس بدعاً ... (إذا ازدحمتْ جموعُ الأنبياء)

(ببيتِ الوحي ينزلُ في حماهُ) ... بما رسمتْه أقلامُ القضاء

محلٌّ تُكشفُ الكرباتُ فيه ... (وليصعدْ منه معراجُ الدعاء)

(أنختُ به مع العافين ركبي) ... ---- القرى رحبَ الفضاء

نشرتُ اليه مطويَّ الأماني ... (فبلغني به أقصى منائي)

(تلغراف) إلى والي بغداد جلال باشا استعطافاً له على المادة سنة (١٣٢١)

نمد شكونا لذي الجلال تعالى عطشاً أورث الأسى والكروبا
بجلالٍ أغاثنا، وهو قرم سوف يروي بالكف منا [الصدا ؟]

وردني (تلغراف) من المدينة المنورة من الحاج شيخ جاسم - وفقه الله تعالى -

ذكرتُ عند (محمد) حبيبَ قلبي (محمد)



فأجبته (تلغراف) :-
بالمصطفى قرّ عيناً به، وبالحج تسعد

وردني (تلغراف) من الدير من الأعز الشيخ محمد الشيخ عبد الحسين رحمه الله -، وهو هذا :-
تلغراف الشيخ (محمد) من الدير

في الدير شوقي تجدد لذي المعالي (محمد)
وكاد لابن أخيه شوقاً فؤاد ينفد

فا

(١-٥١)

فأجبته (بالطراف) الى الشام :

مددت الطرف نحو الشام شوقاً   وزاد لذكرها شغفي وحبي
غداة (محمد) قد حل فيها   (وما حب الديار شغفن قلبي)

قلت منذ رحلت إلى بغداد لمعالجة عيني عند الطبيب في شهر محرم سنة (١٣٣٢ هـ) (*)

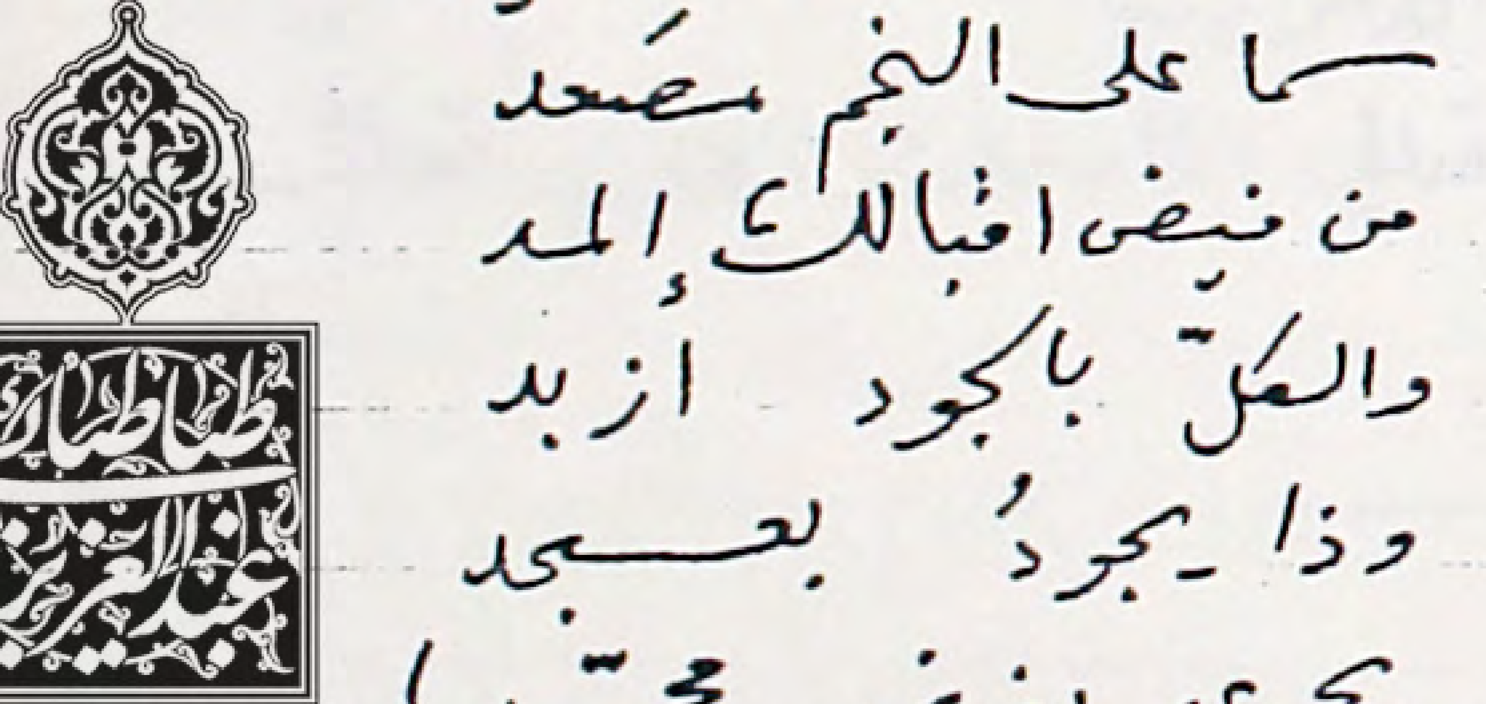
منذ قذيت عيني قيل اتخذ   كحلاً لها يجلو قذى العين
فقلت لا أطلب كحلاً سوى   تراب اعتاب (الجوادين)

ولما منّ الله علي بالشفاء كتبت الى الحلة :

بالامام ابن جعفر عاد طرفي   بوفودي على حماه - قريرا
فأرجع الطرف نحو طرفي) تجده   نيراً ليس خاسئاً وحسيرا
كان مولاي بي رؤوفاً رحيماً   فلذا ردني سميعاً بصيرا

(*) أرخ هذه الرحلة الخطيب الشهير الشاعر الشيخ حاكم الملا الحلي وقد صادف رجوعه الى الفيحاء يوم قدوم الفرات بعد أن احكموا له السد بمدة من السنين (كما في ديوانه المخطوط المحفوظ بمكتبتي): قال - رحمه الله - :

أبا المعز ومن قد   سما على النجم مصعد
فيض الفرات أتاه   من فيض اقبالك المد
بحران جادا علينا   والكل بالجود أزبد
هذا يجود بماء   وذا يجود بعسجد
أرخ (وكل زلالاً   يجري بفيض محمد)



شعر سوقي

كتب لي بعض الأحباب(١) من المحل المعروف «بسوق الشيوخ» وقد كان توطنه متأسفاً على فراق النجف الأشرف، والاجتماع بأحبابه، والمذاكرات بالمسائل الأصولية، والفروع الفقهية، فأجبته

لقد وافت ألوكة خير خل · يواصلني على بُعد السبيل
طوى ذكراً عن (المحصول) فيها · وأعلن بالبكاء على (الأصول)
رأى (سوق الشيوخ) حماه، لكن · حوى سوق الشيوخ مع الكهول

العلم الباهر، والبدر الزاهر، والسيف الباتر، أخي الشيخ (باقر): وصلت إليَّ ألوكة ودادك، ونميقة اتحادك، فاستقرى ما انطوى فيها من عافيتك ووداد ووصحبتك، غير انك ذكرت (الغري)، وحمى المولى (علي)، وتشوقت الى كل خليل صفي، ثم بكيت الفروع والأصول، وذكرت المحافل والطلول فهيجت اشجاناً كامنة في الفؤاد، مكون النار في الزناد، فلقد واسيتني فيما ابتليت، ولبست مثلما ترديت

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي

(١)

وكتبتُ الى ابن أخي المحروس السيد أحمد حين بلغني انه يقول الشعر ويجيد ، ولم أكن أعلم به على سبيل الامتحان - هذا البند :

من العم الذي خصّك بالفضل كما عمّ ، ومنه عنك ان ناجاك في املائه نيكشف الهم (الغم) الى مصباح مشكاة حياة الروح والنفس ، ونور البصر الجالب للأفراح والانس ، وسعد الطالع المذهب للنحس ، وبدر الأدب البازغ في أفق جبين الشرف الأقدم ، والفائق في طلعته الشمس ، ومن فاق على الأقران والامثال والأخدان فيما خصّ من فضل ، فلا ندّ ولا كفو ولا شبه ولا مثل ، كم ربا في دارة السعد ، ولم يرتفع الدّرّ سوى ثدي المعالي الغرّ والمجد ، وطفلاً كلم الناس بما أُلهم في المهد ، فكم قد ظهرت فيه دلالات ، ولاحت فيه للخير علامات ، والسؤدد والمجد به قد وضحت للناس آيات ، فمذ شبّ غلاماً كان في اقرانه كالعلم الفرد ، وأضحى بينهم واسطة العقد ، اشارت نحوه العلياء بالكف ، ونادته كن القلب من الصف ، فأنت الواحد الفرد الذي يغني عن الألف ، لعمر الله - يا أحمد - بالمعجزة الباهرة اليوم لقد جئت ، وبالاعجاز من نوع بديع النثر للأمّة أرسلت ، فلو شئت بما أُلهمت من حكمتك البالغة العظمى تنبأت ، فان أوجزت اعجزت ، وان أطنبت اغربت ، وان أمليت أو أسديت ، أو ناجيتني للعجب الأعجب أبديت ، فما «لابن العميد» الأول السابق في الفخر ، ولا «عبد الحميد» الفائق الأوصاف في السطر ، ولا «للهمداني» «البديع» الدهر أن يجري وإياك على بحر ، وانى للوزير «الصاحب» القرم «ابن عبّاد» يجاريك ، ولا المبدع في صنع المقامات «الحريري» يباريك ، وانى لهم في الفضل طرّاً أن يضاهوك ، ولا في قوة الادراك في كنه معانيك جميعاً أن ينالوك ، وقد حزت لدى المجد من الجد الذي قد طالع الغيب ، هناك الشرف الأقصى بلا ريب ،

ومن والدك الشهم؛ فنون الفضل والعلم ، ومن أعمامك الغُرّ أخذتَ الطرفَ الأعلى من الفخر ، فلا زال لك التوفيق من بارئك الحق رفيقا ، ولا دامَ لك الفضل كما كان لأسلافك أهل الفخر والمجد طريقا ، وفي هذا بلونالك ، وفي صحة ما قد طرق الاسماع ذا اليوم امتحنّاك ، فأرسلنا إليك (البند) إكراماً وتبجيلا ، (لتقرأه على الناس على مكثٍ ، ونزّلناه تنزيلا) .

وكتب لي ابن أخي المحروس السيد أحمد يشير أن الشتاء أطل عليه، ويطلب النجدة لديه، فأجبته بهذا البند

من العم الذي خصك بالفضل كما عم، وفيه عنك إنْ ناجاك ينجابُ سحابُ الهمّ والغمّ، لعمر الله - يا أحمد - قد ناديتَ مَنْ لم يمسك الإمساك كفّيه، وأيقظتَ فتى لم تملك الغفلةُ عمّا رمتَ عينيّه، ونبهتَ فتى كالأسد الخادر وثّاباً لدى المعضل لم يفترش الترب ذراعيه وأسمعتَ همامًا لم يكن يصرف عن كلّ مهم من مهمات الورى في الدهر أذنيه، وقد أزعجني ما كنتَ حررتَ وقررتَ، ومن رائق ذاك النثر أوردت وأصدرت بأنّ البردَ قد أمّ ليغزو اليوم مغناك، وفي الجند تلقاك، وقد شبّهته خوفاً بجالوت، وأصبحتَ من الدهشة مبهوت، فلبيكَ وسعديك، ويا مستنهضاً للنصر والنجدةَ في الحَرب جنانيك، رعاك الله انا قد رعيناك وأنجدناك في عسكرنا المنصور حثاً نحو مغناك، وسقنا لك جيشاً كاملاً في الباس والنجدة

مأموراً لعلياك من الابطال والفرسان والشجعان والأقران مشحونا ،

وفي ألوية التسديد والتأييد والتوفيق مقرونا ، وأمرّنا على الميمنة

الغروَ اليماني ، وينظمُ إليه ألف صنديد ، وفي الميسرةِ الماهود

مع جندٍ إليه انظم كالأول تعديد ، وهيّئنا رؤوسَ الجيش مع

كلّ أميرٍ باسلٍ في الحرب ألفين وأوقفنا هناك الخزّ والسنجاب

قلباً وجناحين ، ثمذ تمّت صفوف الجيش في تعبية الحرب ،

وقد دارت رحاها وعلا الصوتُ من الضرب ، هناك البردُ قد

أقبلَ من قلةِ تدبير ، ومن جهلٍ بنا ظنّ وقد خابَ بأنْ ليس

لنا جند وأصحاب ، وقد رتبت من قلةِ عقل منه في الميمنة الريح

الشمال الذي يمنعه أدني رداءٍ نزراً ، وفي الميسرة الثلج

الذي أضعف شيٍ يتوقاه ، وقد ظمّ كثيراً من جنود البرد البارد

في الجيش جناحين وقلباً ، كما قد نشر الالوية المعقودة الأرياح

سحباً ، فنادينا أمير الجيش في الحملة والكرّ ، وأرسلنا من الرحلة

الأسهم ترمي شرراً في الجمع كالقصر فناداهم منادينا كما في يوم

(بدرٍ) شاهت الأوجه للقوم ، ويا تعساً لكم من فئةٍ ظلّت كما

ظلّت أولى السّوم ، فما كان سوى نحرِ جزورٍ مدةً أو

حلبة الشاة ، إذا بالجمع من عسكره اليوم وقد ولّى وعاد

الجمع اشتات ، ولم ترتفع الغبرة الّا و(جويريه) بحدّ السيف

قد عادَ صريعاً وعفيراً ، وما اقبلت الخيل من الميدان الّا و(كانون)

لديها موثقاً عاد أسيراً فاهديناه مأسوراً لعلياك ، وقدمناه

موثوقاً لمغناك ، فامّا ان يكن منّا ، واما ان ـــــ فداء

فيا دمتَ ويا دام لك الحاسد في الدهر ـــــ .

وكتبت الى ابن الأخ المحروس السيد احمد تلغرافاً الى بغداد اسأل عن حاله، وكان موعوكاً، فكتب لي (تلغرافاً): -

قد شفى الله بالجوادين سقمي | وتجلى بالعسكريين همي
لم أزل رافعاً اكف ابتهالي | يا سميع الدعا أطل عمر (عمي)

وكان في النجف الاشرف في بعض السنين وكيل عن قاضيها رجل يسمى «نجم الدين»، يتعاطى من الأدب فالتمس يوماً ان نشفع له، ونكتب في حقه ما يزكيه، وان تكون الشفاعة الى المرحوم علي افندي عمري زاده، وهو إذ ذاك متدعي العموم في لواء كربلا فكل من حاضري المجلس من الفضلاء والأدباء كتب له.

فكتب له المرحوم الشيخ صالح[1] بيتاً مفرداً

نجم غدا للمي ثرف هدى والاعداء رجا

وكتب له المرحوم الشيخ محسن آل الشيخ خضر[2] بيتين لطيفين

---

(١) هو الشاعر الشيخ صالح الكواز الحلي المتوفي سنة (١٢٩٨هـ) من بلاد... الكلة الفحول وهو من شعرائها المعدودين. جمع ديوانه بتحقيق الشيخ محمد علي اليعقوبي وطبعه سنة (١٣ ٨ هـ).

(٢)

قاضٍ قضى بالعدل ما بيننا — وما قضى إلّا بمنصوصٍ
ما اعترض النقص باحكامهِ — وايّ قاضٍ غير منقوصٍ

وكتبتُ الى المشار اليه في حقه كتاباً صدّرته بهذه الأبيات :

أبلغ عليّاً ذا العلا — وأبا المعالي العاليه
مَنْ فاق أعيانَ البريـ — ـة بالصفات الزاكيه
بمناقبٍ عُمَريّةٍ — هي كالكواكب زاهيه
سارتْ مسيرَ الشمس — في الآفاق وامثال ساريه
يا ايها القرم الذي — أحيا الرسوم الفانيه
ولنا أعادَ مآثر الـ — ـفاروق فينا ثانيه
وبه نرد لدى الردى — قسراً حديث الغاشيه
إنّا (لنجم الدين) نأملُ — أن تؤملَ داعيه
فنعيده بعد الوكالـ — ـة ذا مراتبَ ساميه
فنراه فينا قاضياً — احكامه بك ماضيه
فاذا منيتَ فليتها — كانت هناك القاضيه

وكتبتُ بعد الأبيات هذه الفقرات :

والنجم إذا هوى ، ما ضلّ صاحبنا وما غوى ، ولا ينطق عن الهوى ، ولا يفعل ما يشا ، ولا يأكل الرشا ، قد اجرى نظامات البداية ، وبلغ في الاحكام الشرعية الى الغاية ، فهو حريّ بالأصالة ، جليل عن الوكالة ، فامره موكول الى عليائك ، والسلام من الله يغشاك .

وكتبتُ يوماً الى العمّري المشار اليه شاكياً على بعض اجلاء اليهود وصدّرتُ التحرير بهذه الأبيات :

إنَّ الذين بخيبرٍ أفناهمُ ... تحتَ السنابك في سريّته أبي
هذي بقيتهم تحاولُ ثارَها ... وتقولُ لي أنتَ ابن قاتل مرحبِ
فلأهتفنَّ لعصبةٍ عمّريةٍ ... قد قوّمتْ من قبلُ ركنَ المذهبِ
متعوذاً بعلي (علي ثمّ) منهمُ ... مستنجداً في ذلك الشهم الأبي !

وبلغني يوماً أنَّ بعضَ ادباء النجف ابرز شكوى عند قاضيها انَّ بعض الأدباء أغار على قصيدةٍ له غيَّر منها قوافيها ، ونسبها اليه ، فاحضر القاضي ذلك الأديب وابنه وعاتبه ، ثم تشاغل عن المطلب ، فكتبتُ الى القاضي - وكان أديباً فاضلاً - على سبيل المجون :

مُخبرُنا (الصادق) من أرض النجف ... أفادنا فيما حكى وما وصف
بانّ في محكمة القضاء من ... سوء المعاملات ما هو العلن
لاسيما مطالب الجزاء ... مهملة فيها بغير ر
لا يسأل الجاني بها عمّا جنى ... ولا يردون حكم جرم علنا
والشرع والنظام قد توافقا ... وفي مطالب الجزا تصادقا

فنفي الحديث النبوي المستند — عن كل من كان موثقاً وَرَدْ
ما عطّل الحدودَ قومٌ إلّا — قد هلكوا في كلّ نادٍ ذلّا
مع انّ نائب القضاء فيها — قدماً نراه عالماً فقيها
مكمّلاً مهذباً نبيلا — محترماً مبجّلاً جليلا
ليس لخصمٍ في هواه مطمع — ولا لرأيِ جاهلٍ يتّبع
من أجل ذاك قد ادّعى العموم في — محكمة استئنافنا غير خفي
قدّمَ عندنا ادّعاء ـــــ — أوضح فيها للورى ابهامه
يقول قد وقفتمُ الأحكاما — بذاك قد خالفتمُ النظاما
ان كان مستنطقكم أبانا — إفادةً ونفسَه قد صانا
فلتحكموا انّ الجواد قد كبا — وصارَ سارقاً، وللشعر خبا
او تحكموا أنّ الفتى المهديا — قد جاء شيئاً يدّعى فريّا
وتمنعون عندها المحاكمه — وهذه الأحكام جزماً لازمه
أو ترسلون نحونا الأوراقا — حتى نرى لرأيكم وفاقا
أو نرفع الأمر الى النظاره — فدونكم منا خذوا أخطاره

وكتبَ المرحوم السيد جعفر الخرساني يوماً رقعةً الى الأخ المرحوم المبرور الميرزا جعفر -قدس سره- يتأمل فيها صلته، وهي

هو الفاضل الأديب السيد جعفر بن السيد [illegible] ([illegible]
[illegible]
[illegible] كثيرة تنقلها [illegible] الأدبية [illegible]

هذه :

يا ذا المفاخر والمعالي	ومَنْ أغتدى رب الكمال
ضاقت عليَّ ثلاثة	طُرقي، وزرتي، واعتقالي
وفقدتُ عزَّ ثلاثةٍ	جاهي، وسماري، ومالي
وكسبتُ ذُلَّ ثلاثةٍ	(________)
وبَقيتُ رَهنَ ثلاثةٍ	دهري، وفقري، والعيال

فقال لي الأخ المرحوم المشار إليه أُجب عني السيد المذكور ذمّاً، وليكن هذا الشطر مطلعاً :

« أفنيتُ عمرك في الضلال » ، وهذه عادته معه. فكتبتُ إليه :

أفنيتَ عمرك في الضلال	وقضيته في سوء حال
وخبطتَ في عشواء لا تدري	اليمين من الشمال
وكسبتَ ذُلَّ اثنين من	فقر، ومن ذل السؤال
وحُرمتَ أجرَ اثنين من	علمٍ، ومن عمل بجا ل
وحويتَ قبحَ اثنين من	هجو، ومن شتم الرجال
اتخصلة محمودةٍ	لك في الورى ترجو نوالي
كلا، وعيشك إنما	أملته عين المحال

وكتبتُ الى المرحوم السيد حبيب أفندي - قاضي الهندية -
جواباً عن كتاب :

لي في الأنام (حبيب)	بالحر كالسيف ماضي
لا أرعوي عن هواه	فليقضِ ما هو قاضي

وكتبتُ الى السيد الشريف السيد محمد حسين من النجف كتاباً أوصيه بمعالجة مؤذن النجف المعروف (بابن حمد) ، وقد كانت ذهبت عيناه ، فعالجه فردّ الله بصره ، فكتبت له متشكراً :

جاء ابنُ حمد ناقلاً	بين الأنام حديثَ برّك
فلذا غدا فوق المنار	مؤذّناً بجميلِ شكرك

حدثني أنك عالجتَ أخاه ، حتى أبصرتْ عيناه ، فما أدري أنتَ أشبه بمن يُبرئ الأبرصَ والأكمه ، أو أنَّ المذكور جابر بن عبد الله قد بُعثَ من الأموات ، وأُعيدَ إلى دار الحياة ليرى منك مشية خير الأنام ، ويقرؤك عن جدّكَ السلام .

وكتبتُ على ديوان المرحوم الشريف السيد حيدر مقرضاً :

قسماً بجلالةِ منشيه	وبآياتٍ تُليتْ فيه
وبناظم سمط فرائدهِ	ومفصّل عقدِ لئاليه
بثغور الدرّ به ابتسمتْ	لسقيط الطلِّ بواديه
بشوارده وفرائده	ومدائحه وتهانيه
هذا الفرقانُ ، وقد بلغتْ	حدّ الاعجاز مثانيه
بل هذا النهج لحيدرةٍ	ودلائله سطعتْ فيه
باهلْ عُربُ الاسلام به	باقاصيه وأدانيه
مخضرمها ومولدها	من حاضره أو باديه



وانشد ادباء العصر له — من ذا في الفضل يجاريه
وانظر إنْ شئت الى قلمه — ينبيك عن قدرة باريه
واسمع نظماً يروي فضلاً — لمستنده ومقتفيه
واسجد إنْ انشدَ منشده — بيتاً
كسجود الشكر لسامعه — قد عمّ الحكمُ وتاليه

وكتبتُ مشطراً أبياتاً لأخي السيد حسين ارسلناها من النجف الى الحلّة للأخ المرحوم الميرزا جعفر حين عُوفي من علّةٍ، وبشّرنا عن أحواله، فكتبنا له الجواب. فالأصل للأخ السيد حسين، والتشطير لي، وهي هذه :

(نسيمَ صبا الفيحاء أُهديتَ لي نشرا) فأنعشتَ نفساً منكَ وآلمةً حرّى
وأسكرني ساري شذاك على ضنىً (فأصبحتُ نشواناً ولم أعرفِ السكرا)
(أجرّ بردي لا دلالٌ يهزني) وأختالُ لا تيهاً أرومُ ولا كبرا
ولا لعباً مني، ولا طاش لي حجى (ولكنني قد طرتُ من فرحي بشرا)
(اذا ما ابو موسى) اكتسى حللَ الشفا) وأرغمَ أنفَ الحاسدين به قسرا
وأصبح في دست الرياسةِ آمراً (فلستُ أُبالي انني أفقدُ العمرا)
(فضوّعتَ ارجاءَ الغرّي بطيبهِ) وزدتَ على نشر الحمى في الحمى نشرا
ولولا شذاهُ لم تكن تعرف الشذى (وما كنتَ لولا خلقه تحمل العطرا)
(خليلي مرّا بي بمغناه ساعةً) بها ألقَ من زاهي محيّاه لي بدرا
والّا خذا خلفَ الركائب ناظري (لعلي أُلاقي منه طلعتَه الغرا)
(على منزلٍ يشحّ الزمان بقربهِ) وقد كان يشملني فيه مستجمعاً دهرا

وربع به حل الشباب تميمتي — (وقد كان في عصر الشبيبة لي وكرا)

تجلى به من (شيبة الحمد) نيّر — سنا مجده قد طبق البر والبحرا

(ومن (هاشم) مقدامها وعميدها) — ومن (مضر الحمراء) آيتها الكبرى

غمام على الدنيا أطل بنائل — (فأمطر لما قد أطل بها تبرا)

(وعم جميع الأرض شرقا وغربا) — فأنبت في أقطارها الحمد والشكرا

فما ضرها فقد الربيع وجعفر — (بطلعته الغراء تستنزل القطرا)

(ولا ساءها جدب وبين ربوعها) — نداه الربيع الخصب ـــــ

يعز علينا أن تبيت بليلة — (بها تشتكي حوشيت من ألم ضرا)

(وما بين أكناف الغريين فتية) — طوت لك في أكناف أضلعها جمرا

سقيمة أكباد سواكب أعين — (ومبيضة أحشاؤ تحن الى المسرى)

(تهم بأجر الحزم لا تستطيعه) — فيوشك أن تقضي بحسرتها جهرا

وتأمل من لقياك ما لا تناله — (فتمكث ترعى النجم في مقلة سهرا)

(ويحسب كل ساورته ضئيلة) — إذا نفثت في الصخر فلقت الصخرا

أو ان حشاه للسيوف ضربته — (أو ان المنايا فيه قد انشبت ظفرا)

واجتمعنا يوما في مجلس ضم جماعة من الادباء منهم المصلح الكامل السيد جعفر زوين فدفع الي سبحة فاخرة ثم افتقدتها حالا ، فقيل لي أخذها ابن عمه الشريف السيد (هادي) فكتبت

اليه أعلمه الحال :

لقد كنتَ اتحفتَ المحبّب بجرة ... بها البُر أضحى فوق راسي يخفقُ
أثارَ الفتى (الهادي) عليها بغفلةٍ ... فأوردها الكف التي ليس تنفقُ
فحسبكمُ هذا التفاوت بينكم ... فانك تعطي، وابن عمك يسرقُ

فأجابني المرحوم السيد جعفر :

x ما كنتُ أحسبُ قبل قولك انّه ... نُظِمَ الفتى لـ
حتى اتت لي منك با لو تمالها ... أحد سوالك حسبته لم يصدق،
فلعلّها ضاع التزنج، ولم يكن ... علم ابن اسرائيل حيلة مشفق،

وكتبَ لي يوماً المرحوم الكامل الفاضل السيد جعفر الحلي، وقد كان له زوجة لها خال من اخوالها يرسل اليه في كل سنة مقداراً من أرز العنبر المعروف من (المشخاب) ، وفي تلك السنة احترق زرعه العنبر، ومضت زوجته الى خالها، ولم ترجع، فكتبَ لي رقعةً تتضمن الواقعة، وطلبَ الجواب قولاً أو فعلاً، وهذا ما كتبه :

لي زوجة كان أخو أمها — يحسن ما حالي، وما حالها
يهدي لها العنبرَ من ارزه — والجوع لا يخطر ما بالها
واليوم نالت زرعه جمرةٌ — فاحترق العنبر من خالها
اذا درت أنك واصلتني — زارت على رقبة عذالها

فكتبتُ له في الجواب (متضمنا من هذه القصيدة)

أكتبْ لها تُقبلْ على سيرةٍ — واقتبل العمرُ باقبالها
تروّض قلباً منك ما مشيرها — لكنْ على رنة خلخالها
والكلّ منّا لك يحبو غنىً — فاستغن عن (مالي) وعن (مالها)

وكتبتُ الى الأخ المرحوم الميرزا صالح[1] - قدس سره - حين انقطع ماء النجف الأشرف، وقد كان واعدني أنْ يرسل الينا راويه مع غلام له اسمه «منصور» لينقل الماء من الكوفة الينا:

فديناك إنّ البركةَ اليومَ ماؤها — لقد غاضَ حتى مسّ من أجله الضرُّ
وليس سوى البحر الذي تعهدونه — على أنّه - والله - لا يشرب البحرُ
فانْ لم تغثنا من نداك بجالةٍ — براويةٍ فلا ويحملها المهرُ

---

(1) هو علامة فقيه، جمع الى ملكة العلم ملكة النظم، ولولا اشتغاله بالعلوم لبزّ شعراء أسرته. توفي سنة (١٣٠٤هـ)، ورثاه شعراء عصره وقد وقفت على مجموعة مراثيه، وفيها من الشعر المخمور الشيء الكثير. وله من مؤلفاته رسالة فقهية كتبها لمقلديه، وشرح كتاب الحج من موسوعة والده الفقهية، وكتاب «مقتل أمير المؤمنين» طبع سنة (١٣٦٤هـ). ترجم له حرز الدين في معارف الرجال، والطهراني في (الكرام البررة)، والخاقاني في (شعراء الحلة)، وكاشف الغطاء في (الحصون المنيعة)، واليعقوبي في البابليات، و[illegible] في ([illegible])، وغير هؤلاء مما يضيق المجال بذكرهم.

لي زوجةٌ كان أخو أمرها — يحسن في حالي، وفي حالها
يهدي لها العنبرَ من ارزه — والجوع لا يخطر في بالها
واليوم نالت زرعه جمرةٌ — فاحترقَ العنبر من خالها
اذا درت أنك واصلتني — زارتْ على رقبة عذّالها

فكتبتُ له في الجواب (متضمنا من هذه القصيدة)

أكتبْ لها تُقبل على سرعةٍ — واقتبل العمرَ باقبالها
تروّض قلباً منك ما شئتها — لكنْ على رنّة خلخالها
والكلّ منّا لك يحبو غنىً — فاستغنِ عن (مالي) وعن (مالها)

وكتبتُ الى الأخ المرحوم الميرزا صالح[1] -قدس سره- حين انقطع ماء النجف الأشرف، وقد كان واعدني أنْ يرسل إلينا راويه مع غلام له اسمه «منصور» لينقل الماء من الكوفة الينا:

فديناك إنّ البركةَ اليومَ ماؤها — لقد غاضَ حتى مسّ من أجله الضرُّ
وليس سوى البحر الذي تعهدونه — على أنه -والله- لا يشرب البحرُ
فانْ لم تغثنا من نداك بجالةٍ — براويةٍ فلا وحملها المهرُ

---

(1) هو علامة فقيه، جمع الى ملكة العلم ملكة النظم، ولولا اشتغاله بالعلوم لبرز شعراء أسرته. توفي سنة (١٣٠٤هـ)، ورثاه شعراء عصره وقد وقفت على مجموعة مراثيه، وشعرها من الشعر المخمور الشيء الكثير. وله من مؤلفاته رسالة فقهية كتبها لمقلديه، وشرح كتاب الحج من موسوعة والده الفقهية، وكتاب «مقتل أمير المؤمنين» طبع سنة (١٣٦٤هـ). ترجم له حرز الدين في معارف الرجال، والطهراني في (الكرام البررة)، والخاقاني في (شعراء الغري)، وكاشف الغطاء في (الحصون المنيعة)، والسماوي في البابليات، والطريحي في (الرياض الأزهرية)، وغير هؤلاء ممن يشق الإلمام بذكرهم.

يحثّ بها منصور نحوي ليستقي من الجيش ماءً ليتَ لا ابعد الجسر
والّا فانّي قد هلكتُ من الظما وان بِتُّ عطشاناً فلا نزل القطرُ ×

ونظرتُ يوماً في «جريدة الزوراء» ، فرأيتُ فيها قصيدةً لذي الفضيلة السيد الحاج علي ____ افندي آلوسي زاده ، ولم أكن قبل ذلك رأيته ، فكتبتُ إليه من النجف الاشرف :

بدرٌ من الزوراء أشرق وضياء نورٍ قد تألّق
وخضمُّ علمٍ قد طمى وعباب بحرٍ قد تدفّق
أم هذه اعلام زين العابدين أمامُ فيلق
ظهرتْ لنا آياته فالدهر كاد اليوم يصعق
قد أنبأتْ عنه الجريدة ، وهي في الاخبار أصدق
وروتْ حديثَ نظامه خبراً لديَّ غدا محقّق
فسكرتُ بالاعجاب منه لا من الخمر المعتّق
ونسيتُ عند حديثه خبري (جرير) و(الفرزدق)

أهواهُ قبل عِيانهِ والأذنُ قبلَ العينِ تعشقُ

واجتمعتُ يوماً مع ذي العزة حكيم بك، وأخيه السيد الحاج محمود بك، وقد كتبا كتاباً الى اخيهما ذي السعادة رشيد باشا زهاوي زاده، فكتبت على كتابهما سلاماً إليه مُشعراً بالشكر منهما لديه،

الى الشهم الرشيد سلام صبٍّ يؤدّيه له القلبُ السليمُ
وأشكرُ عنده الأخوين فيما بنا فعلا، وخيرُهما عميمُ
حكيمٌ صار (محموداً) لدينا و(محمودٌ) لرضانا حكيم

فكتبَ لي في الجواب، وكان الشعر لأخيه ذي الفضيلة جميل افندي:

أعظم شأن ابياتٍ أتتني وأهداها إليَّ أخٌ حميمُ

بعثتَ له عليَّ عظيمَ فضلٍ | يقصّر دونه فكري العظيمُ
(محمد) أيها المفضال حبّاً | لأفضل أنت مبديه الكريمُ
زهتْ أبياتُ شعرك حين أوفت | كما تزهو لناظرها النجومُ
لقد طوقتَ جيد الشكر مني | بها فكأنه العقدُ النظيمُ
ببيتك وهو أكرم كل بيتٍ | يباهي المجد والحسب الصميمُ
يسوّر أرضه شرفٌ حديثٌ | يحيط بسوره شرفٌ قديمُ
كأنّ معالي الأخلاق لديه | على عليائه ذروته تحومُ
(محمد) أيها الغطريف عندي | لك الودّ الذي أبداً يدومُ
وسلْ إن شئتَ تعلمُ ما بقلبي | فؤادك عنه فهو به عليمُ
فبين مكاني القلبين بينا | صراطٌ للمودة مستقيمُ

«محبكم زهاوي زادة رشيد»

لما كانت السنة الثامنة والتسعين بعد الألف ومائتين من الهجرة وقع الطاعون في النجف الأشرف خاصة دون غيرها من البلاد، وفرّ أهل النجف وسكانها، وهجروا الديار والأوطان، ولم

يبقَ في البلد شريف، ولا وضيع، ولا دنيّ، ولا رفيع حتى العلماء الاعلام او الاشراف الكرام، حتى لم يبقَ في البلد متاع، ولا في الاسواق كفنٌ يُباع، وأبى الوالد المرحوم العلامة أنْ يخرج من النجف، وأمرني بالتصدي لنفع الفقراء، وملاحظة موتاهم ودفنهم، وكان جملة الفارين بعضهم في (الحمّاد)، وبعضهم في الكوفة، وبعضهم في (الجعّارة)، ومنهم في الرحبة، وقد ضربوا الأخبية، وأنس بعضهم ببعض، ونحنُ في البلد في أعظم حال، وتشويش بال، قد بلغت العلّة أنه يفقد في كل يوم مائة وخمسون الى اكثر أو أقل، وبهذا الحال تأتيني من هؤلاء الخارجين كتبهم يسألون ويطلبون ان أخبرهم بتفصيل أحوال البلد مَن مات ومَنْ بقي، وأُنا في شغل عظيم، وهمٍّ جسيم، فساءني ذلك، فكتبتُ لهم نسخة واحدة كتاباً مصدّراً بأبياتٍ وهي هذه

لا يُبعِدِ القومَ الذين عن الحِمى ... تخذوا لدى الجُلّى سِواه بديلا

مَنْ فرّ يوم الزحف، عنه فانّنا   فيه اتخذنا مَنزلاً ومقيلا
حتى اذا حَمِيَ الوطيسُ ولم نجد   إلاّ طعيناً في الحِمى، وجديلا
لُذنا بمرقد مَنْ تطوفُ بجنبه   زُمَرُ الملائك بُكرةً وأصيلا
مستصرخين بقبر ذي البأس الذي   عند الصريخ يَردُّ (عزرائيلا)
أتراه يندبه القصيُّ فيكشف الـ   كربَ الجليّ، ولا يُجيرُ نزيلا
فيسومُ المتخلفين ويُنجدُ الـ   متَرحلين مخافةً وذهولا
ويكون أعلاناً لديه رتبةً

ثم كتبتُ تحت الابيات هذه الفقرات إليهم عموماً

عظم الخطب النازل، وجلّ الفادح الحائل، واشتدّ أمر البلاد، وفرّ السكان من العباد، فلا رفيقك، ولا صديقك ولا حميمك، ولا جارك، ولا انيسك، ولا (كليدارك)، ولا (جعفري)، ولا باقري ولا ايرواني، ولا ششتري، إلاّ واتخذ عن الحِمى (الحيدري) بديلا، وعن المغنى العلوي (خان أبجي فشيجه) مقيلا، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز

بالجاهل، وما أنتَ بأوّل مَنْ أُسلم عند اصطكاك الأسنة وترادف الأعنّه، وما أنتَ إلّا من (نجديه)، وممن انطوى على تلك النيّه، اللهم ارزقنا صبرَ الشاكرين لك، وعمل الخائفين منك، واغفر لنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وافرغ علينا صبراً، وتوفّنا مسلمين.

فكتبَ لي أُديب الزمان، وفريد العصر والأوان العالم اللبيب، والأخ الحبيب، الشيخ محسن نجل المصلح الشيخ محمد الشيخ موسى الشيخ عيسى كتاباً صدّره بهذه الأبيات.

سقياً لأكناف الغريّ فإنّها نِعم المقيل لمن أراد مقيلا
وأنا الفدا لحضيرة القدس التي عكفَ الوصيّ بها فغادت عيلا
حامي النزيل ولستُ أعرف منزلاً أحمى وأمنع من حماه نزيلا

وبنفسي الحيّ المقيم ببابه إذ كان خلا للإله خليلا
الثابتين، وقد تزايل غيرهم منهم الجبال الشم جيلاً جيلا
ثبتوا كما ثبت الأولى من قومهم كرماً، فناسبات الفروع أصولا

صدق الله تعالى حيث يقول "شجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء"، ويوشك أن يكون التعطب بين الثوابت، وقد رست في مغارس الإيمان سوقها، وشجت على التقوى عروقها فعاذر أن لا تحركها العواصف، وأن لا تزلزل أخلاقها الرواجف، وأولى ثم أولى بمن يمت بأسبابها أن لا يفر من الزحف، وإن تزايل جمهور الصف، فقد نيط باصول طالما ثبتت عند اللقاء، واطمأنت أن الدنيا ليست بدار بقاء، فغير كثير ثباتك إذ طاشت الأحلام، وثبوتك وقد زلت الأقدام فانك عذيقها المرجب، وابن بجدتها المجرب

من معشر عرفوا بالصبر ليس بهم نكس، ولا ناكص منهم على عقب
أرسى من الطود إذ همت لتقذفه بعوضة فوق سبع الأنجم الشهب

وناهيك أن منكم (الباقر) لبطون جوامل الأقدار، بسهام

...

ادعيته البائره لدى العشي والأبكار ، الثابت على زحاليقها إذا ازدلف الحتف ، واقترت الآجال خيفة القصف والقطف ، على حين بلغ الحزام الطبيين ، وفات الغوث حساب الالف مضلاً عن المائتين في كل ذلك ما رفت له غارب ، ولا رعف له جانب تيلمض تلمض الثعبان ، ويلقى عصاه فتهتز كأنها جان ، الى كثير من مسانيد لكم في الاسلام مشكوره ، ومواقف مأثورة مشهوره ، تؤمن بها قلوب المؤمنين ، ولا تجحدها السنة المنافقين ، لم يخالط بها (طباطبائي) ، ولا (جعفري) ، ولم يغالط بها (شوشتري) ، ولا (باقري) ، يرثها منكم صاغر عن كابر ، ويرفعها (إمام العصر) الى الامام (الباقر) سنة آبائه الصابرين يوم (احد) ، و(الاحزاب) المقدمين ، وقد نكص القوم على الاعقاب ، شأو كم قديم عظيم ، من الحادث والقديم ، طالما ثنيت لكم به الارائك وشيعكم به الملائك

فسل (هل أتى) ، أو قول (جبريل) : لافتى
بأي فتى جبريل كان يرشح
مدائح لا يل هن غر مناقب
بتطريزها بردي علاكم يوشح

الى غير ذلك مما لا يحصيه اليراع عدداً ، ولو كان البحر

له منذراً ، فاسلم رابطَ الجأش ، سليم الحصاة من

وأنتَ كالطود لا تثنيك عاصفةٌ   من الخطوب ، ولا زلتْ لكم قدمُ
يزيد وجهكَ بِشراً كلما التهبتْ   نارُ الوباءِ فتجلى عندها الغمم
من نابشين لدى الجُلّى ، وقد نظرتْ   قومٌ ، وشتّانَ فيها العرب والعجم

بيد أني أراك عند ذكر النفير من القوم ، وتعريضك بنوع من اللوم ، قد استهدفتني للكنية ، وزعمتَ أني من (غزية) ، فلا وأبيك الخير

فلا وأبيكَ الخير مني (غزية)   ولا بأبيكَ الخير ما انا منهموا
وشتان ما بيني وبين (غزية)   وليس سواءٌ منجدون ومتهمُ
فلم ارتحل الآ ، وتغزوا بأسهمْ   وما ارتحلوا الا وثغرٌ عليهم
واني لم انفر فراراً ، وإنما   لانذار قوم عن سبيل الهدى عموا
وأنّ نفار القوم يوشك انه   لأمرٍ ، وما ادري ، عفى الله عنهم

وعلى كل حال فاني مقرٌّ بذنبي، تائبٌ الى ربي، اللهم عبادك عبادك، فاعطف عليهم بفضلك، ولا تعاملهم بعدلك، واجمع بيننا، وبين اخواننا الذين يقولون ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار الصابرين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار بمحمد وآله ومَنْ نسجَ على منواله.

وكتبَ لي زبدة السادة الكرام، سليل الأشراف، من آل عبد مناف، السيد جعفر زوين في جواب الكتاب المتقدّم، ولم يُنصف - سامحه الله تعالى - فيما نظم وقال:

ما فرَّ يومَ الزحف عن أرض الحمى	متحيّزٌ لم يبغِ عنه بديلا
كل الذي خفقت به احلامه	للفرِّ لو يلقى هناك سبيلا
أحسبتَ أنك ثابتٌ، ولو انّه	منك الثباتُ لما لبثتَ قليلا
لكنْ مَنْ تستدفع البلوى به	لم يبغِ عن أرض الحمى تحويلا
فأقامَ والطود الأشمّ اذا رسا	نخذتْ جوانبه الأسود مقيلا
فلذا احتميتَ بظلِّ حبرٍ عائذٍ	بضريحِ حامي الجار جيلاً جيلا
حتى اذا انجلت الكريهة أقبلتْ	منك الحماسة تستهلُّ نصولا

وكتبَ لي الخال الذي زانَ وجنةَ الدهرِ كالخالِ، المرحوم الشيخ

عباس نجل المرحوم العلامة جدي الشيخ علي مجيباً أيضاً

مَنْ مُخْبِرٌ ناشدٌ لي بالغريّ مهجة — أوقفتها بين الأياس والرجا
ما بين أحزانٍ وما بين شجىً — خلفتها رهن التصابي والجوى
تطايحت موهنة حول الحمى — لم تعدم الرشد، ولم تعد الحجى
تعنو، ويعنو الجسم حول أرضها — يرجو اللقا، والموت دون المرتجى
موزّعٌ بين المصلى قلبه — يرجو من الله العظيم الفرجا
سقى الحمى وساكنيه انه — للخائف الراجي المروع الملتجى

ليتَ شعري كيف يستطيع بناني البيان، وتملي أناملي ما أُقاسيه
من الأشجان، وترى الزمان بلا عتبى عليه قد غضّ على فؤادي
بنابه وناجذيه، وعد وهو الخؤون فرجعتُ من
فصرتُ أسامر السواري، واستودع النسيم الساري
أسراري!

أبيتُ الليل مرتقباً أُناجي — بصدق الودّ كاذبة الأماني

فكلّ آونة على وجل ، وكلّ دقيقة على اضطراب وملل ،
ناءٍ عن الأحباب والأهل ، عارٍ عن الجليس والخلّ . جمعنا الله

تعالى وإياكم في المغنى الحيدري ، والمجلس العلوي بحضرة المولى (المهدي) سالمين .

وكتبَ لي العالم الفاضل الشيخ عباس نجل المرحوم الشيخ حسن قدس سره — حين كتب له الكتاب المتقدم ، وشفعته ثانياً بهذه الأبيات لمّا اكدّ بالكتابة يستعلم أحوال البلاد ، ويتفقد مرض العباد

قد ترك الناسُ حمى حيدرٍ — من دهشةٍ بل فرّ كلّ الأنام
ونحنُ قد لذنا كما لاذ مِنْ — أجدَلُ ينقضّ فراخ الحمام
نتهافتاً منّا على — قبره (والمورد العذب كثير الزحام) لا

فكتبَ لي في الجواب :
ليهنيك تقطفُ روض الحمى — وتلقى بتلك المغاني مقيلا
وتمسي بقدس نسيم الرضا — بنادي علاه تجرّ الذيولا
فيمحي عناك حمى المرتضى — ومهديه منك يطفي الغليلا
واني على ثقةٍ منهما — بنظرة لطفٍ تغيث الدخيلا

قريبٌ بعيدٌ ، دنيّ المزار — وكم من قريبٍ نأى عنه ميلا
وبعد قصيرٌ وحق هواك — غدا للنوال كثيباً مهيلا

وكتب لي المشار إليه أيضاً ،

ستأتيك الصحيفة فاختبرها — فتلك علامتي إن حان حيني
فإنّه ترني ، وقد كنتُ فيها — ببث شكايتي ترني بعيني

فراقُ أنسي ، وغربة نفسي وما اجتمع الدائي فأسلك البقا والامان بتحرير لا يبقى ولا يذر ، حتى اقف على صحة الخبر فتنفس عليّ بالقميص ، فأنك هبة الغالي بالرخيص ، ولا تحبس عليّ ترك ، أو تنسى من اعتاد شكرك ، نفثة مصدور بالبلوى مغمور . نسأل الله بقاء (المهدي) ، فما من حاجة لكرمه ابدي

واسلم لدين محمدٍ — ومتى سلمت فذاك سالم

وكتبتُ بالخصوص الى مَنْ ودّه كالمبنيان المرصوص ، الأعز الفاضل الشيخ محسن بن الشيخ محمد المتقدّم ذكره اولاً نظماً لا نثير في أيام الطاعون المذكور :

لو تراني يومَ قدفرّ الورى	عن حمى المولى قبيلاً فقبيل
مفرداً أسلمهُ اصحابه	أرأيتَ القومَ يومَ "ابن عقيل"
فاذا انكرتني ابصرتني	معلماً أرفلُ قدّام الرعيل
فعلى هذا أصّلي ، وعلى	ذاكَ من اصحابك التربُ اهيل
ولذا أدعو هلمّوا كفناً	ولذا أهتفُ يا هل من غسيل
دونكم فاتخذوا مرضعةً	لرضيع ، وطعاماً لعليل
لرأت عيناكَ ماسّر الحشى	ووعى قلبكَ ما يشفي الغليل
ولعاونتَ على البرِّ تقىً	ولواسيتَ على الخطب الجليل
ولأيقنتَ ، وإنْ كنتَ على	خبرةٍ ، إنّي معدوم المثيل
ولفضّلتَ ، وانْ كنتَ ترى	بين أهل الفضل اني مستطيل
ولصغّرتَ الذي كانَ يرى	أنّه يوم الوغى الشهمُ النبيل

فكتبَ لي الشيخ محسن المشار إليه على القافية ، ولقد أجاد في الأولى ، وأحسن في الثانية

أنتَ يا مَنْ تشهد المجدُ له	انه في المجد معدوم المثيل
واذا ما ثقلت معضلةٌ	فهو الناهض بالحمل الثقيل
واذا جفّتْ أفاويق الحيا	فأخو الغيث لدى العام المحيل

وإذا ما قصرت أيدي الورى ... لمّلم فهو ذو الباع الطويل
وإذا ضاق بهم رحب الفضا ... وسعت همته كل قبيل
وبقيتم في ثنيات الحمى ... عندما أزمعت القوم الرحيل
راسخ كالطود لا يقلقه ... رهجٌ أو ينثني الطود مهيل
يا غليلي من جوى وقفته ... وهي عن قلب الهدى تشفي الغليل
غرضاً للنبل إذ رهبه ... كل شهم رابط الجأش نبيل
أبداً ما ضل عن نهج الهدى ... حين حاد الناس عن قصد السبيل
منهواً إما ناقل أقدامه ... خلف ميت، أو لأطعام عليل
حسبك الله وقد فرّ الأولى ... لم يقل قائلهم صبراً جميل
حدجوا العيس فما أسرعها ... ساعة السّير وجيفاً وذميل
فتنة ظل الأدلاء بها ... والعزيز الله إذ ظل الدليل
فتوكلت عليه قائلاً ... حسبي الله، ويا نعم الوكيل
وتبتلت إليه سحراً ... ولدى الأبكار طوراً، والأصيل
مستجيراً بحمى حيدرةٍ ... ولعمري أنه حامي النزيل

فطوبى لك من عاكف ببابه، متلقياً بصعيد ترابه، لا تهزك الأهوال، وإن تمادى العنا والزلزال، فبنفسي أنت من مسلم حين خانه الأحلاف، وسلكوا سبيل الاعتساف، لم يزل في غدوة وأبكاره، وأثناء ليله ونهاره صابراً على قضاء ربه، مستغيثاً إليه

...

برفع كربة عموم المسلمين وخاصة المجاورين لقبر جدّه أمير المؤمنين ، ونحمد المولى ونشكره على استجابته ، وقبول تضرّعه إليه ، وانزال الرحمة عليه ، آمين .

وعندما تناقص أمر الطاعون في بلد النجف ، وخفّ المرض ، ببركات مَنْ حبّه الله فرض ، كتبتُ الى اصحابي المذكورين نسخة واحدة شعراً على سبيل البشارة بهذا المهم على اختلاف أماكنهم ، ومذاقهم في الجواب وهي هذه :

إنّ حامي الجار لمّا شخصتْ ... نحوه الأبصار ترمي بانسجام

وتهافتنا على تُربته ... مستجيرينَ كأفراخ الحمام

وتساقطنا على مرقده ... كظِماءٍ سقطتْ يومَ أوام

وتصارخنا بشكواهُ ضحىً ... صرخةَ الرّضع من قبل الفطام

كشفَ الغمّة عن أشياعه ... ودعى أنّ نزيلي لا يُضام

وانتضى الغضبَ الذي يرهبُه ... ملكُ الموت لدى الحرب الزُؤام

فاتخذنا جُنّةً من بأسه ... نتّقي من وخزِ الجنّ السهام

وعلى نار الوبا أمطرنا ... سُحبَ عفوٍ أخمدتْ منها الضرام

وغداة اضطرمتْ صيّرها ... في الحمى برداً علينا وسلام

فابلغ القومَ الذين استبدلوا ... بالحمى الهور ، وبالدور الخيام

هَرَباً فعلَ الأولى قد نكصوا ... يوم بدرٍ حين قد سُلّ الحسام



واقتداءً بالأُولى قد أسلموا (مسلماً) ملبين اشواق الحمام
قد أمنّا ، وأمنتم فاقبلوا ليس فيما قد جنيتم من ذمام

فكتب لحب الأخ المذكور الشيخ «محسن» مجيباً كما يخاطب حبيبٌ حبيبا :

يا بن مَنْ يُستدفع الضُرُّ به وبه في المحل يُستسقى الغمام
لا عدا ربعك وسمّي الحيا من بشير جاء في أقصى المرام
صيحة نالت أهاليك الأولى بدعاها عَصَمَ اللهُ الأنام
طوفوا في حرم المولى الذي باسمه فوّهت الغر الكلام
عصمةُ اللاجي ، وهل من بعده يا فدته النفس للاجي عصام
ذاك حامي الجار ما حاسمة ما نبت يوماً ، وقد ينبو الحسام
فحمى حامي الحمى حوزته عن طروق الضيم إذ أعدى الحمام
ورعى ذمة مَنْ لاذ به مستغيثاً منه في عون الأنام
فعليه الله صلى كلما ذكر الله قعود وقيام
وسلامٌ لك من ذي شغف شاعة مجدك في وادي السلام
مستهام بك مفتون الحشى ليس يثنيه عتاب وسلام
سل به البيد فما اعرفه بصحاريها فجاجاً وأكام
لستُ في الحضور ، ولا يُعرف لي بسوى البيد محلاً ومقام
فالى (القائم) طوراً ، وذوي الـ سقبب البيض مقاماً فمقام
يا غليلي لمغناك الذي انكرت مقلته طيب المنام

أكل الدمع مجاري خدّه — حين يذريه فرادى وتؤام

وإذا حنّ على بانته — هاجه للنوح تحريك الحمام

وله كم زفرات بعدكم — تصدع الصلد، وإن كان رخام

للبدور التمّ من أسرته — والبحور الفعم من غرّ كرام

ثبتوا في موكب كم نفرت — عنه أقوامٌ كأفراخ النعام

عجباً إذ نبغ القوم الأولى — فأفأت في القول إذ لدّ الخصام

نسيت أيام فرت حمرا — حين جدّ الخطب بالموت الزؤام

ما لهم في الفضل من سابقة — ولكم تعرف بدءً وختام

جحدوا الشمس على اشراقها — ولكم يشهد ايلاف الخيام

ألفوها سكناً من خيفة — وبها عافوا قصوراً لا ترام

برئت ذمة أكفاء العلى — من ذميم للسرى لا يرعى الذمام

ورعى الله مساعيك التي — لمعت نا صعة تجلو الظلام

وأياديك التي أسديتها — فمضت سابغة بين الأنام

وكتبَ لي عميد السادة الكرام السيد جعفر زوين جواباً على هذه القافية، ولم ينصف — سامحه الله تعالى — كعادته

كيفَ يرضى بالحمى حامي الحمى — أن تلاقي أهله وقع الحمام

وهو جاثٍ بين ظهرانيهم — يدفع الجلّى لدى الخطب الزؤام

ليس يغضي الطرف عنهم، وهم — عنك في ظل حصين لا يرام

كلّ آنٍ حول مثواه لهم — صرخةٌ توقظ أشلاءً رمام

ايجيبُ دفعه عنهم، فذا — من له في الكون مولى لا يضام

بل عجيبٌ كيف يرضى بالوبا ... وهو عنهم ينفي رشقَ السهام

لكنِ الذنبَ الذي أسلفنا ... عنه لم ينفكّ ينهانا الإمام

ولو أنّا نتقي اللهَ لما ... دهمَ الخطبُ بأرزاءٍ عظام

ومذ استصرختِ الشيعةُ في ... قبرِ ذاك البطلِ الليثِ الهمام

رفعَ اللهُ الوبا في جاههِ ... وهو للخائفِ أمنٌ وعصام

أترى النائيَ الموالي ينثني ... عن حماهُ، وهو منه بالذمام

غيرَ ناءٍ مَنْ يرى قبّتَه ... بذرى الجوّ كبرقٍ في غمام

لا ترى العينُ سوى أنوارِها ... تتلألأ بين هاتيك الأكام

كلّما استيقظَ من رقدته ... هبّ يهديها صلاةً وسلام

عجباً كيف تقول استبدلوا ... بالحمى الصحنِ، والدورِ الجسام

كلُّ مَنْ والى (عليّ) المرتضى ... بالحمى منه، وإنْ شطّ المقام

أنتَ لو تلقى سبيلاً طوّحتْ ... فيك خوفاً خفقةً سربُ الحَمام

وبه استبدلتَ آناً (بابلاً) ... أو (طويريجا)، وذا أقصى مرام

لكنِ المولى أبى أنْ يتخذْ ... بدلاً عنه، وإنْ شبّ ضرام

فَعلى كرهٍ توطنتَ الحمى ... مثلما تستوطنُ الجدبَ الكرام

أثباتاً منك قدماً تدّعي ... إذْ ترى الفرَّ من الزحفِ حرام

فلماذا يومَ أوري (بابلاً) ... مثلَ هذا الخطبِ قعقعتَ اللجام

طرتَ عن ساكنها، وهو يرى ... أنك الجنةُ أنْ يُنضى الحسام

أفلا كُنتَ شجاعاً عندها | لتحامي دونَ هاتيك الأنام
أجباناً في الوغى حتى إذا | انجلت الهيجاء شجاعاً في الكلام
وترامينا سهاماً نزعت | من مكنّ الفكر في قوس النظام
ليس حقاً من يواسي قومه | يترامى بسهام من سلام
فالخفف اللوم، وجئني بالذي | هو أهدى لي، وأهديك السلام

وكتبَ لي من بغداد ابياتاً تتضمن الوداد، والشوق على البعاد، ذو الفضيلة، والمآثر الجميلة، معروف افندي الرصافي على غير اجتماع منا، ولا مشاهدة،

قف بالديار الدارسات وحيّها | واقرا السلام على جآذر حيّها
وانشد هنالك للمتيم مهجةً | فُنيت من الاهواء في عذريها
وسَل المنازل هل علمنَ بأنني | قد شفّ جثماني الهوى بطبيّها
يا قلبُ، أيّ هوىً أصابك عندما | أُصميتَ باللحظات من ثعليها
رشأٌ إذا أبدى ابتسامةَ شائقٍ | أجرى المدامع من عيون عصيّها

،

شغلَ القلوبَ بحبّه ، ولطالما … فتكت ضعاف لحاظه بقويّها

مَنْ لي بلثم يقبل من شادنٍ … عذب الثنايا الواضحات شهيّها

يا عاذلاً صدعَ القلوب بلومه … مهلاً فليس خليّها كشجيّها

مَنْ ذا استطاع يردّ عن نجيّ الهوى … فثمّةً ترى كلّ الرشاد بغيّها

دعْ يا عذول أخا الغرام معظّماً … الدار يلثمها كرامةَ ميّها

كأفاضل الفيحاء حيث تفاخرت … بسريّها الجحجاح، وابن سريّها

السيد السند الهمام (محمّد) … فرع النبوة ، وابن خير وصيّها

كم شاعَ للفيحاء بين بلادنا … شرفٌ حوته بفضل (قزوينيّها)

ذاكَ الذي كم من مناصل فضله … فازت محلاّة النفوس برقيّها

يا سيداً في المجد أحرزَ شهرةً … ملأتْ مسامعنا بصوت دويّها

والتلك نفسي ترتدي بك سؤدداً … وقد ارتدته ، فكنتَ خير وليّها

لِمَ لا أسود بحبكم في أمّةٍ … فرضَ المهيمنُ حبَّ آل نبيّها

زهتِ المكارم فيك حيث لبستها … شيماً تزيّا الأكرمونَ بزيّها

فتشقّقتْ منكَ على البعاد خلائقاً … شغلتْ - وحقك - مهجتي عن حرّها

فإليكها عذراء عزّ قيادُها … لولا مديحُكَ لم تُبح بترويها

وآفتكَ في (رمضان) تنشر مدحة … عبقتْ تهانيكَ الحسانُ بطيّها

لتشدَّ مَعْكَ عرى الوداد وثيقةً … بيد ، ولاؤك كان خير حليّها

إني لأغبطها إذا هي أنشدت … بنديّ عفت النفس منك زكيّها

وغدت بجيد المدح منك لسيّدٍ … شهم الغطارفة الكرام أبيّها

فكتبتُ له في الجواب على الرويّ والقافية إلّا أنها مضمومة :

هي روضة قد رشّها وسميُّها ... طلّاً، وفاح بعطره جوريُّها

وحديقة قد اينعت اشجارها ... وشدى على اغصانها قمريُّها

وخريدة تختال في أعطافها ... قد زانها عند الوصال حليُّها

شفّت، وشفّ البرد عنها إذ بدت ... حتى استبان خفيُّها وجليُّها

زُفّت من (الزورا) ففاحَ عبيرُها ... في (بابل)، حتى تعطّر حيُّها

أم اسطرٌ منها حياني كامل ... فاقت بلاغتها، وفاتَ رويُّها

اهدى اليَّ نظامه، فكأنّما ... للوارد الظمآن اهديَ ريُّها

قد جادَ مبتدئاً، فلا يحكيه مَنْ ... فخرت به بين القبائل طيُّها

بدرُ الصحافة لو تقدّم عصرُه ... أثنى عليه لفضله كرخيُّها

وأبانَ ما بين الأماثل انّه ... بنحويُّها، صرفيُّها، لغويُّها

ناقَ الأفاضل والاماجد، فاغتدى ... يثني عليه دنيُّها وقصيُّها

وسما على أقرانه، ورمى على ... أخدانه بالفضل فهو كميُّها

شهدت له بكماله مَنْ عرّقتْ ... فيهم لدى النسب الصريح لويُّها

عشقوه قبلُ عيانه، والاذن قد ... سل العين تعشق إذ بدا مرئيُّها

يا أيها الشهم الذي أبدى لنا ... من حبّه ما بعضه كليُّها

عذراً إليك من الألوكة، إنها ... لا عن قلىً مني تأخر طيُّها

وكتبت الى مفتي ولاية البصرة ذي الفضيلة طاها افندي شوّاف
زاده حين أعطي منصب الافتاء :



فكتب لي هذا الجواب من البصرة في سنة (١٣١٥هـ) :

أملٌ يدنو فيُبعِدُهُ ... خوفُ عتبٍ كانَ يَعهَدُهُ
إنْ أراحَ القلبَ ذاكَ أتى ... دونه هذا فيجهدُهُ
آهِ، مِنْ حرِّ البعادِ لقد ... خرّ في قلبي توقّدُهُ
يا عذولَ الصبِّ دعْ دنفاً ... ضلّ دهراً كيف ترشدُهُ
هل سوى أنْ أنَّ من بَرَحٍ ... فعلى ماذا تفنّدُهُ
صاحبٍ يشكو إليك جوىً ... فمتى يا - سعدُ - تسعدُهُ
وبقايا من هوى رشأٍ ... فاتنٍ بضٍّ مجرّدُهُ
أبليتِ الأيامُ جدّتَه ... ويدُ الذكرى تجدّدُهُ
تدّعيه النفسُ إنْ ذكرتْ ... عهدَهُ، والشيبُ يجحدُهُ
كانَ لي بستانَ زينتِهِ ... في محيّا طعماً وصرخدُهُ
لستُ أدري مَنْ رمى كبدي ... ناظراه أم مقلّدُهُ
ربَّ سهمٍ قد أصاب ولم ... يكُ يدري مَنْ مسدّدُهُ
ما لهذا الليلِ طارَ ألا ... مخبرٌ عني متى غدُهُ
أيّها النوّامُ خلكمُ ... هل علمتم ما يسهّدُهُ
ألذكرى عيشةٍ رَغَدٍ ... وألذُّ العيشِ أرغدُهُ
حيثُ صحبي كلُّ أروعَ قد ... ألِفَتْ بذلَ الندى يدُهُ
والناسُ سادةٌ صعدوا ... طودَ فخرٍ عزّ مصعدُهُ
أهلُ بيتٍ قد بناهُ لهم ... فردُ ذاكَ العصرِ أوحدُهُ
رسّتِ الأوتادُ في كرمٍ ... وعلت للجوِّ أعمدُهُ
فهموا مثلَ النجومِ به ... بدرهم فيه (*محمّدُهُ)
سيّدٌ طابتْ شمائلُهُ ... وفشى في الناسِ سؤددُهُ
فإذا جالستَهُ خلتَ به ... كلَّ شيءٍ أنتَ تحمدُهُ

واذا زايلتَ ساحتَه | لم يزل يبدو تفقّدُه
ومتى قلبتَ مختبراً | حالتيه حين تقصدُه
خلتَ في الحالاتِ بحرَ ندىً | طابَ للعافينَ موردُه
واذا ما جالَ في أدبٍ | فكره ، واللبّ يعضده
صاغَ من حُلى الكلام كما | شاء صافي السبكِ عسجدُه
إنْ يكن شعراً فأبدعه | أو يكن نثراً فأجودُه

وكتب نخبته المخلص (مفتي البصرة) شوّاف زاده .





اتفق لي سفرٌ إلى بغداد في سنة (١٣١٢ هـ)، فكنت يوماً ذاهباً الى زيارة نقيب الاشراف المرحوم ذي السماحة والسيادة السيد سلمان[1] افندي في داره المعلومة، ومعي جماعة. فبينما نحنُ عنده إذْ حضر المجلس أخوه العالم الفاضل، ذو السيادة والفضيلة السيد عبد الرحمن[2] افندي (الذي هو - الآن - نقيب بغداد، ومتولي أوقاف القادرية)، فأنس بنا، وأنس به. وجعلت أتذاكر معه في الأدبيات، وجملة من التواريخ الاسلامية، ومن النوادر الشعرية حتى أفضى بنا الحديث الى ذكر الصاحب بن عبّاد الوزير فجعلتُ أتلو عليه من فرائد نثره، وغرائب توقيعاته، وعجائب مراسلاته فقال لي إني يعجبني من شعر الصاحب أبيات في مدح سيدنا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب. فقلتُ له إنَّ الصاحب الوزير معروف بحسن النثر. فقال: نعم، ولكني أعجبتني ابياته تلك. فقلتُ له: إنْ رأيت أنْ تنشدها. فقال: نعم، يقول:

مَنْ كمولاي (عليّ) والوغى شبّت لظاها
اذكروا في يوم بدرٍ انه ليث سباها (...)

---

(١) هو نجل المرحوم السيد علي النقيب القادري. كان مضرب المثل في العفة والنزاهة، والطيبة وحسن السريرة. كما كانت له مكانة عظيمة في نفوس ولاة آل عثمان. توفي في اليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٣١٢ هـ) ورثاه جملة من الشعراء الكبار.

(٢) هو ابن السيد علي النقيب المتولد سنة (١٢٦١ هـ)، والمتوفى سنة (١٣٤٥ هـ) وكان قد أشغل رئاسة الوزارة العراقية عند تشكيل الحكومة الموقتة.

فقلتُ له : إنَّ هذا ليس من الشعر الذي يعجب منه مثلك ، وهو دون قدر الممدوح ، ودون شأن الشاعر المعروف المنسوب إليه ، وأينَ هو من قول الشاعر :

طالما للاملاك كنت ذليلا ولنا موسهم هديت سبيلا
يوم نادى ربّ السما جبرئيلا قائلاً مَنْ أنا فروى قليلا
وهو لولاكَ فاته الاهتداء
شُدتَ في ذي الفقار للدين أصّلا فتسامى قدرًا وعزّ وحلّا
وعلى ما اسست قولاً وفعلا بُني الدين فاستقام ولولا
ضربُ ماضيكَ ما استقامَ البناء

فقال : لمن الشعر ؟ فقلتُ : الأصل للتميمي ، والتخميس للعمري[1].
فاستحسنَ لكنه استغرب ، واستجاد لكنه تعجّب . ثم قلت له : أنشدني باقي ابيات الصاحب ، فانشدها ، وسكتَ عن بيت في آخرها . قلتُ : لِمَ لا تنشد آخر الأبيات . قال : لأنَّ في نفسي منه شيئًا ، فأقسمتُ عليه الانشاد فقال : يقول :-

مَنْ كمولاي عليّ مَنْ له رُدّت ذكاها

---

(١) نُشر الأصل مع تخميس الشاعر عبد الباقي العمري في ديوان صالح التميمي المطبوع سنة (١٩٤٨م) بتحقيق محمد رضا الشبيبي ، وعلي الخاقاني .

فقلتُ: لِمَ كانَ في نفسك شيءٌ من هذا البيت. فقال: لأني لا أعتقد ردّ الشمس. فقلتُ له: كيف يكون في نفسك مِنْ ردّ الشمس لجدّك (علي) شيء، وأنتَ تجلّ من العلم والفضل. فقال: لأنّه تصرّف في الأفلاك. فقلتُ له: هذه مسألة شريفة عقلية سمعية فلنتذاكر فيها أنا وأنت!! فقال: بلى. قلتُ: إني موردٌ عليك مقدماتٍ، متى سلمتها لابدّ أنْ تسلّم النتيجة. فقال: قُلْ. فقلتُ: أليسَ معنى (المعجزة) ما كانَ خارقاً للعادة؟! فقال: نعم. فقلتُ: هل في ذلك تفصيل من كون الخارق للعادة سماوياً أم أرضياً؟! فقال: لا. فقلتُ: أتقول بظهور المعجزات للانبياء؟! فقال: نعم. فقلتُ: أتقول بجواز ظهور الكرامات للأولياء؟! فقال: نعم. فقلتُ: عند الجميع قاعدة مُسَلّمة كلما صَحّ أنْ يكونَ معجزة لنبيّ صَحّ أنْ يكونَ كرامةً لولي، أتقولُ بها أم لا؟ (فقلتُ): أتقولُ بانشقاق القمر لحضرة الرسالة أنّه معجزة نبوية؟ فقال: نعم. قلتُ: وردّ الشمس ليوشع؟ فقال: نعم. فقلتُ: إذن، حصلت النتيجة، وهي صحة وجواز ردّ الشمس كرامةً لسيد الأولياء، أي: انّ انشقاق القمر معجزة للنبيّ فهذه كرامة للولي!! نعم، لك أنْ تقول هل هو واقع مرويّ مدوّن مذكور، أم لا؟ فنقول: أمّا عندنا - معاشرَ الامامية - فهو كالمتواتر، وامّا عندكم فاني آتيك به من كتب الحديث المعوّل عليها عندكم - إنْ شاء الله تعالى.

إلى هنا بلغَ البحث والمرحوم أخوه السيد سلمان يستمع مجادلتنا فالتفت إليه وقال: أخي لِمَ تنكر كرامات سيدنا أمير المؤمنين؟!

...



فقال: استغفر الله، لكنّ هذه مسألة شخصية. ثمّ التفت إلى المشار إليه وقال: ألم يخبر سيدنا (عليّ) عن كربلاء قبل وقوع وقعتها؟! فقلتُ: نعم. فقال: اذكر لي الحديث. فذكرتُه، فبكى، وبكى معه الجمع، وانقطعتْ مذاكرتُنا ببكاء المرحوم النقيب، وتفرّقنا من المجلس!

ولمّا كان اليوم الثاني جاء رسول من آل النقيب إلى المحلّ الذي نحن فيه في بغداد، وهو دار فخر الحاج، الحاج مصطفى كبّة، ليقول: إنّ جناب السيد عبد الرحمن يريد أن يتشرّف زائراً بكم. فقلنا: على الرحب والسعة، فجاء وحييناه، وقلتُ له حين لقياه إنّ مجيئك - اليوم - إلينا بمنزلة ردّ الشمس على مولانا عليّ!! فضحك عند ذلك، والتفت إلى الحاضرين وقال: إشهدوا أنّي قلدتُ «فلاناً» - يعنيني بالقول - بردّ الشمس!! فقلتُ له: إنّما يجديني اجتهادك في ذلك، وأنت غنيّ عن التقليد!!

ثم عند انقضاء مجلسنا هذا لمّا قام ذاهباً أرسلتُ إليه رقعةً فيها هذه الأبيات:

قد قلتُ للعلويّ المحض كيف ترى ... حديثَ ردّ ذُكاءٍ للوصيّ (عليّ)

فقال في النفس شيءٌ منه، قلتُ له ... الأمرُ في ذاك ما بين الرواة جلي!

فقال: قد قلتُ تقليداً. فقلتُ له: ... أنتَ المقلَّدُ في قولٍ وفي عملِ

فكن به يا عديمَ المثل مجتهداً ... فيوشع مثله في الأعصر الأولِ

وكلّما صحّ أنّه تلفاه معجزةً ... للأنبياء غدا أكرومةً لولي

ومشهد الشمس في الهيجاء إن تره ... كأنّه في العلى نارٌ على جبلِ

فكتبَ لي في الجواب: - «قسماً بشرفك يا شمس المعارف

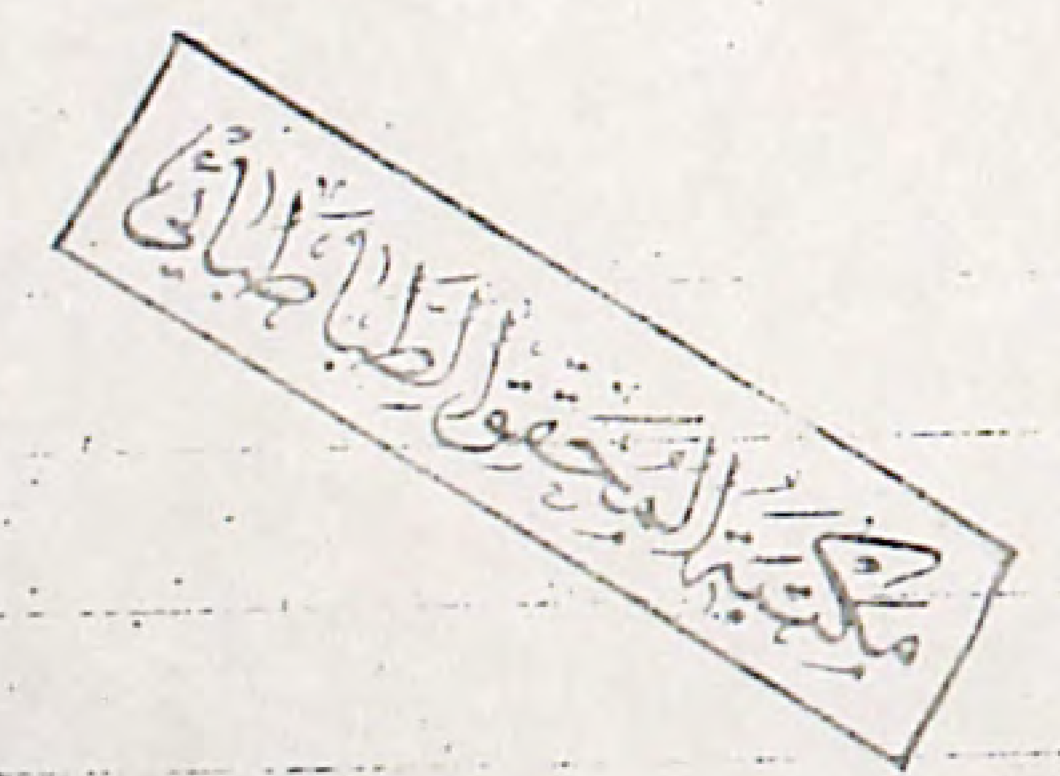
والعلوم، الفائق في المنطوق والمفهوم، انه لقد أطربني بل اعجبني ما أحكمه فكرك المتين من الأبيات، الأبيات التي لا تستطيع الأدباء مباراتها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وكيف لا ترد الشمس لسيد الأولياء، الممدوح في الأرض والسماء، وهو في حدقة سيد الأنبياء، والسلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ».

ثم اني في ذلك اليوم اجتمعت مع العالم الفاضل المحترم السيد نعمان[1] افندي آلوسي زاده في جامع (مرجان) في الكتابخانة المعدة له، فأخذت منه من كتب الحديث كتاب « المقاصد الحسنة »، واستخرجنا منه رواية رد الشمس لأمير المؤمنين من رواية « الطحاوي » و « ابن منده » من حديث « أسماء بنت عميس ». فقال لي الأفندي المشار إليه الحق: نلك الأبيات بيتاً يشعر بهذه الرواية وأرسله تأكيداً الى حضرة النقيب، فأرسلت إليه هذا البيت:

وما رواه (الطحاوي)، و (ابن منده) من
حديث (أسما)، شفاء فيه للعلل

فأرسل إلي: ألم يكفك الاعتراف السابق، والاذعان اللائق !!!





(١) مرت ترجمته.